بستوکهولم

شهد قربان

ستوكهولم

مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع ، ١٤٤٦ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
قربان ، شهد
ستوكهولم/ شهد قربان - ط١. الدمام ، ١٤٤٦ هـ
١٩٨ ص ؛ ١٤ سم
ردمك: 978-603-8455-59-3
رقم الإيداع: ١٤٤٦/٣٦٧٩

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

الموقع الإلكتروني :
Www.Adab-Book.Com
مركز الأدب العربي
@Services_Book
@ServicesBook1
مركز الأدب العربي
adabarabic7
aladabce@gmail.com

مسؤول النشر :
للتواصل
0597777444

المملكة العربية السعودية- الدمام
لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172

الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر .

جميع العبارات و الأفكار الواردة في الكتاب تعبّر عن وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر .

ستوكهولم

الكتاب الثاني من سلسلة 005

رواية

شهد قربان

Shahdqurban

SHAHDQURBAN

shahdqurban

الطبعة الأولى

1446 - 2025

١ : دخان

« Mexicanos al grito de guerra
el acero aprestad y el bridón.
Y retiemble en sus centros la tierra
al sonoro rugir del cañón.....»

«مذكرتي العزيزة، هذا النشيد الوطني المكسيكي والذي يردده.. . عفوًا يصرخ به أندرياس مع بقية الرجال كل صباح بعد أن يقرع جرسًا قديمًا مزعجًا ويوقظ به كلّ السكان في مبناه!

مضى أحد عشر يومًا على قدومنا لڤيراكروز، ولم يحضر الدون فيرناندو بعد؛ لانشغاله ببعض الأمور التي لا نعلمها، ولكننا نتوقع قدومه في أي دقيقة كما يقول أندرياس.

أحضرنا إلى مجمَّعه السكني، وسكنّا في مبنًى بتصميم لاتيني أثري ومثل بقية المنازل حولنا في المنطقة والتي تيقّنتُ أنّها تخضع لسيطرتهم، والمسؤول هو أندرياس بالطبع!

يتكون المبنى من مجموعة من الشقق الصغيرة وكلها تطل على فناء مشترك.. بالأدق نافذة غرفة المعيشة تطل على الشقق المقابلة لنا والعكس صحيح وكأننا نعيش في مربع! ممم أظن أن هذا هو الوصف الصحيح.

على كل حال! لقد سنحت لي فرصة التجوُّل والاستكشاف، كما قابلت بعض الأناس اللطيفين واستمتعت بوقتي، ولكن! جيراني هم المشكلة.. وبذلك أعني أندرياس وأعضاء المافيا الذين يعيشون هنا أو في المنطقة.

انطباعي عنهم للآن أنهم مزعجون، همج، ثرثارون وبوتيرة سريعة وكأنهم يغنون الراب! ولا أظن أن مغازلجية هي كلمة صحيحة، ولكني أعني بذلك أنهم يغازلون النساء كثيرًا، وشيء آخر.. إنهم مرعبون عندما يغضبون! ومرحون وربما طيبون أيضًا إن لم يتعرّض لهم أحد بسوء.

هممم ماذا أكتب أيضًا؟ آه مارسيل!

هو لا يزال مارسيل الهادئ ذاته، ولكن قلبي لم يعد هادئًا في كل مرة ينظر فيها إليَّ. شيءٌ يحدث معي، وبسببه! اعتاد أن يتلاعب بعقلي ولكنه لا يعلم الآن أنَّه يتلاعب بمشاعري، فتارةً يخفيني، يوتِّرني وتارةً أخرى يجعلني أرغب بالاقتراب منه والبقاء بجانبه، يدفعني للجنون... تبًّا ما الذي أكتبه الآن!؟»

استيقظَتْ روبي بعد الإزعاج الصادر من الرجال ونشيدهم الوطني وسدت أذنيها بالوسادة حتّى انتهوا، ثمّ تنهدت تنهيدة طويلة وغادرت الغرفة لترى مارسيل المبكر يتناول إفطاره بمفرده.. مجددًا! تنهدت مرة أخرى وذهبت لدورة المياه قبل أن تربط شعرها، تفتح الثلاجة وتفاجأ بطبق البيض الفارغ!

زفرت بسأم: «كم بيضة تأكل في الصباح؟»

ردّ ببرود هو يفتح علبة صغيرة: «أنا أتناول حصتي المعتدلة وبانتظام لا أكثر».

قلّبت ناظريها والتقطت الخبز وشريحة جبن مع عصير فواكه طبيعية، ثم جلست مقابل مارسيل الذي لم يعرها اهتمامًا، أو بالأحرى حاول.

«هل هذا هاتف؟ من أين أحضرته؟» شهقت: «هل خرجت من الشقة؟»

أجاب وهو يعدّ الهاتف: «لديّ مصادر خاصة».

«هممم كما هو متوقع من الشهير 005».

رفع عينيه عندما همت بتناول قضمة أخرى، كما ابتسم ابتسامة صغيرة وكأنه يغتر بنفسه، وأخفاها بسرعة عندما رفعت روبي رأسها.

«ما الذي ستفعله به؟»

«يجب أن يكون لدي هاتف لأتواصل مع البعض وأتفقد آخر الأخبار».

مدت رأسها قليلًا: «أووه أول رقم تسجله.. لمن هو؟»

«امرأة أعرفها».

صمتت وشعرت بالضيق فجأة، ثم هزت قدمها وهي تتناول الطعام بينما مارسيل يسجل دخوله لشبكة آكليس الخاصّة، ويرى آخر الأخبار التي لم تهزّ شعرةً فيه أبدًا؛ فلا يزال مَنِ يريده ساكنًا، مما يعني أنّه يراقب في الخفاء وقد يضرب في أي لحظة!

روبي وهي تحاول أن تبدو عفوية: «ومَن هذه المرأة؟ هل قابلتها هنا عندما خرجت أم تعرفها منذ زمن؟»

أجاب وعيناه على الهاتف: «منذ زمن».

حملقت به قليلًا ثمّ سألت: «وهل هي مهمة؟»

«أجل».

«جميلة؟»

«يقولون ذلك».

«وما اسمها؟»

زفر ببرود: «ألا تصمتين؟ أحاول التركيز».

«ما الأمر؟ أنا أحاول أن أحظى بمحادثة لا أكثر! وألستَ مدربًا على ألا يلهيك شيء فما المشكلة الآن؟»

حقيقة قالتها روبي عنه، ولكنّها لم تكن تعلم أنّه لم يعد يستطيع التركيز عندما تكون حوله، وخاصةً لو كانت تثرثر!

نهضت بتكبّر: «سأخرج لاحقًا وأشتري بعض المستلزمات».

«علّقتُ قائمة على الثلاجة. أحضري ما دوّنته».

رفعت ذقنها وعقدت ذراعيها: «ما الكلمة السحرية يا ماغسيل؟»

تبادلا النظرات للحظة، ثمّ قال: «وإلّا خنقتك أثناء نومك».

هزّت رأسها بغرور: «لا لا لا خطأ، ولستُ خائفة منك».

نهض عن مقعده واقترب منها، فتراجعت للخلف وهي لا تزال تعقد ذراعيها وترفع ذقنها، تستمد القوة..

«توقفي وأريني أنّك لستِ خائفة»

«هل تهدّدني يا هذا؟ هه حسنًا انظر انظر لقد توقفت!»

وقفت ولم تتحرك عندما اقترب منها حتّى بات بينهما ستة سنتميترات

فقط، وكانت تحاول أن تجعل أنفاسها منتظمة، لكنّ قلبها المرتعش ونظرات عينيه الخضراوين لها تحول دون ذلك.

«أحضِري ما بالقائمة.. يا روبي».

«قُل من فضلك.. يا مارسيل».

حدّقا بعضهما ببعض قليلًا وحينها قال: «أصبحتِ مملة. لست ممتعة بعد الآن».

«لأنني لم أعد أخاف منك ومن تهديداتك؟»

«بل لأنّك تتحدثين إليَّ وكأنني صديقك، تنسين أنّي القاتل وأنّكِ ما تزالين هدفي».

أجفلت لوهلة، تأذت مشاعرها بل جُرحت!

قالت بصوتٍ هامس: «نحن نحظى بمحادثة عادية.. فلماذا تقول هذا؟ كنت فظًّا معي الأيام الماضية أيضًا».

«كنت على سجيّتي. 005 وليس الشخص الذي تريدينه، كم مرَّة يجب أن أذكّرك بهويّتي الحقيقية؟»

نظر إلى الدموع الخفيفة التي تكوَّنت في طرفي عينيها، وإلى الوجه الذي لم يستطع قراءته مجددًا، ثمّ قال:

«وهذه كانت طريقة جديدة للتلاعب بك وإخافتك...»

أجفلت بتعجب وبقيت تحدّق به وهي غير مصدّقة، وليس فقط لحقيقة أنّه تلاعب بها لتوّه أو لأنّه جرح مشاعرها، بل لأنها أدركت حقيقة أخرى مخيفة..!

«لا يزال كلامي صحيحًا، ولكنّي قلته بطريقة سوداوية جدًّا».

ابتسمت بتوتر، لكنّ ابتسامتها لم تدم وباتت صغيرة جدًّا، تحاول قدر المستطاع أن تبدو لا مبالية.

«نلت منّي..» هزّت رأسها بسخرية: «عن إذنك الآن».

«القائمة.. من فضلك».

أومأت: «آه نعم حسنًا. بالطّبع».

هرب كلاهما لغرفته بعد هذه المحادثة القصيرة. هو يتساءل ما الذي فعله، ما الصّواب والخطأ، ما الواجب وما المسموح، وهي تزفر أنفاسها المضطربة وتهز رأسها وكأنّها تعترض على شيءٍ ما يرغب بالاشتعال والانفجار!

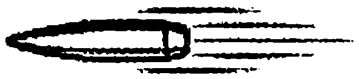

بدَّلت ملابسها لاحقًا وخرجت من الشّقة بينما لا يزال مارسيل في غرفته، ثمّ التفتت لترى أندرياس يمشي في الممر وهو يتثاءب، وشعره المموج مبعثر قليلًا.

قالت بعفوية: «صباح الخير».

نظر إلى ساعته: «سيكون مساء الخير خلال ساعة.. ولكن صباح الخير لكِ أيضًا يا سنيوريتا».

«تبدو مرهقًا».

ضحك ضحكة صغيرة: «لم أنم ليلة البارحة جيدًا، كنت...»

قاطعته بازدراء: «في مكان ما مع امرأة ما أو عدّة نسوة تحتفلون بصخب وإلى وقتٍ متأخر من الليل وربما الفجر لأنّك لم تقرع الجرس اليوم بل قريبك الآخر الذي صوته أسوأ منك!»

فتح فمه المبتسم ليقول شيئًا وعندها رفعت روبي يدها:

«لا تقل شيئًا من فضلك، سيكون منحرفًا حتى لو كان تبريرًا».

ضحك: «آي آي.. تعجبينني حقًّا يا سنيوريتا» استطرد: «إلى أين أنتِ ذاهبة على أي حال؟»

«لمركز التموينات، تنقصني بعض الأغراض».

«آه ذكّرتني، أحتاج إلى شيء أيضًا.. لنذهب، سأرافقك».

أومأت روبي وحسب قبل أن يرافقها أندرياس ويتجها إلى المركز، وحينها افترقا وأخذت تبتاع ما يلزمها وما كتبه مارسيل في القائمة وهي تتذكر محادثتهما الأخيرة.

وضعت التفاح الأخضر في العربة وتمتمت وهي مغتاظة: «ما أريده؟ وكأنّه يعرف ما أريده! ذلك الغبي الخسيس القاتل البارد والذي يسبب لي صداعًا حادًّا».

«تتحدثين لنفسك مجددًا؟»

التفتت لأندرياس الساخر وقالت بتكبّر: «لا بل كنت أفكر بصوتٍ عالٍ فقط».

«حسنًا حسنًا.. هل انتهيتِ؟»

«أحتاج إلى طبق بيض فقط»

«سيجلبونه لنا عند الحساب. هيًّا».

تبعته مجددًا حتى منضدة الحساب، ولم تدفع كالمعتاد؛ فقد أخبرها أن تشتري أي شيء وتخبرهم باسمه فقط، وها هو ذا لا يدفع وكأنّه مَلِك، ويتغزّل بالنّساء بكل ثقة وكأنّه لا يوجد رفض في قاموسه.

«هاه؟ إلى أين يأخذون الأغراض؟»

«سوف يرسلونها للشقة، لا تقلقي. تعالي نتمشَّ قليلًا قبل العودة فاليوم هو يوم الموتى».

قطّبت حاجبيها: «يوم الماذا؟»

«ألا ترين الزينة حولك؟»

«بلى رأيت زينة ولكنّي ظننتها عشوائية..»

«يوم الموتى من التّقاليد الأصيلة، نتذكر فيه أسلافنا وأقاربنا الذين فارقوا الحياة.. سيذهب أهل المنطقة للمقابر والميدان الرئيس ويحتفلون، فهل تودّين المشاهدة؟»

«لقد أثرت فضولي!»

مشت روبي وصعدت مع أندرياس على متن المركبة الثلاثية العجلات أو بمسمَّى آخر (توك توك) وأخذهما السّائق إلى الميدان الرئيس حيث كان هناك جمهورٌ كبير. يرتدون أزياءً تمثِّل الماضي، بعضهم يطلي وجهه ليبدو كجمجمة وآخرون يلبسون أقنعة جمجمة الفينيق الملونة. يرقصون ويغنُّون حول منصّة ضخمة في المنتصف، مزّينة بزهور marigolds -القطيفة- ذات اللون البرتقالي والملمس المخملي، وكان هناك جماجم وصور كثيرة للموتى مع بعض المتعلقات التي كانوا يفضّلونها أيضًا...

«هذه المنصة الكبيرة نسميها أوفرِندا وهي من المفترض أن ترحّب بالموتى وتقودهم إلى هنا».

زفرت بتهكّم: «هل تقصد أنّ هناك أشباحًا حولنا؟ ها ها صدّقتك».

رمقها بنظراته: «هل تسخرين من تقاليدنا يا سنيوريتا؟»

ابتسمت بتوتر: «بالطبع لا!»

هتفت نسوة كبيرات في السّن باسمه وقدمت واحدة منهن لتضع طوق الزهور المخملية حول عنقه وآخر لروبي التي ابتسمت بامتنان ولبسته، ثمّ راقبت الاحتفال وتلقّت الدّلال بما أنّها تقف بجانب أندرياس، حيث

أحضروا لها عيّنات من المقبّلات والحلوى الشهيرة لديهم ومشروبًا باردًا أنعشها، كما تجوّلت معه حول المكان ورأت مواهب بعض الشبّان والشّابّات، كما أصرّت امرأة أن ترسم على وجهها بالرغم من رفضها بكلّ أدب، ولكنّها استسلمت في النّهاية وجعلتها ترسم شيئًا بسيطًا جدًّا.

رقصت قليلًا، وكذلك أندرياس، وشاركت معهم في المسيرة قبل أن تقترب من المنصّة وتتأمّل الصّور الموضوعة بابتسامة صغيرة حملت بعض الشفقة، والاشتياق لوالدها..

«هناك أطفال».

«الموت يعرف الكبير والصغير».

«ولا تعلم متى سيأتي أيضًا» أردفت بملامح حزينة وهي تلمس الأزهار: «وأسوأ جزءٍ لو أخذ الشخص الوحيد الذي تملكه، ولم تستطع أن تكبر بوجوده لتحققا الأحلام التي خططتما لها معًا».

حملقَ بها قليلًا، قبل أن يقول: «ما رأيك أن نذهب للحديقة بجانب المبنى؟ إنّها أكثر هدوءًا من هنا».

«موافقة، أشعر برغبة في التأرجح بالفعل!»

تقدّمها أندرياس ببضع خطوات فلحقت به وهي ما تزال تتأمّل الناس بابتسامة صغيرة حتّى اصطدمت برجل يلبس قناع جمجمة فاعتذرت على الفور مثله وأخذ هو يحملق بها للحظة طويلة قبل أن يبتعد ويلحق بصديقه الآخر.

جلست روبي على الأرجوحة وأخذت تؤرجح قدميها ببطء وهي تراقب الصبية الصغار يلعبون بكرة القدم قبل أن يتجمهروا حول أندرياس الذي وزّع عليهم المال من جيبه وركل كرتهم بعيدًا، يخبرهم أن يذهبوا للاحتفال مع ذويهم، ثمّ جلس على الأرجوحة المجاورة لها بعد ما أحضر زجاجتي مشروب فوّار من الرجال القريبين حولهما.

«شكرًا».

فتح زجاجته وتجرّع منها بينما ارتشفت روبي رشفة صغيرة وهي تتمايل بالأرجوحة في إيقاع بطيء.

«أخبرني لو لم يكن لديكَ مانع، هل فقدت أحدهم؟»

قال بتهكّم: «هل أصبحتِ مهتمة بخلفِيَّتي فجأة يا سنيوريتا؟»

«لا، ولكني سألت من باب الفضول المتعلق بيوم الموتى هذا.. أنا خسرت أبي مثلًا، وكان عائلتي الوحيدة».

«ماذا عن والدتك؟»

نظرت للأرض: «ماتت أيضًا.. ولكني لا أظنّ أنّي أريدها أن تكون عائلتي».

«آي آي هذا كلام قوي وقد تندمين عليه».

ارتشفت من زجاجتها ثمّ قالت: «لا أظنّ ذلك، فبنسبة كبيرة قد تكون هي السبب في كلّ ما يحدث لي، امتناني الوحيد لها هو الوالد الذي ربّاني».

أومأ أندرياس محدقًا بها، ثمّ التفت للأمام وتابع شربه قبل أن يقول: «لقد خسرت أبي أيضًا، وأخي الأكبر عندما كنتُ صغيرًا، ما تزال أمّي حيّة وتعيش مع جدّتي في إحدى مزارعنا ولكن ليس في هذه المدينة».

«آسفة لخسارتك..»

ابتسم لها ثمّ طرق زجاجته بزجاجتها قبل أن يرتشف رشفة أخرى، وحينها غرقت روبي بأفكارها وهي تتأمّل الفراغ

تنهدت تنهيدة قصيرة: «هل تظنّ أنّ الدّون فيرناندو سيقبلني بينكم؟»

هزّ كتفه: «لو رأى منكِ فائدة فسوف يفعل».

«هه يا لفرحتي...»

«لن يكون الأمر سهلًا فأنتِ أجنبية وليس لديك معايير تليق بنا.. نحن في عالم يجب أن لا تكوني رقيقة فيه يا سنيوريتا».

صمتت روبي وطأطأت رأسها: «وهل سيقبل مارسيل؟»

«سنرى عرضه أولًا ونقرّر، ولن نثق به بسهولة أبدًا فهو أداة قتل، وكلب شرس قد يعضّ مالكه في أي لحظة».

«إنه ليس أداة قتل ولا كلبًا.. بل إنسان».

«وقاتل لا يعرف الرحمة ولا يهتمّ سوى لمصلحته».

همست وهي مستاءة: «غير صحيح...»

«لماذا لا تودين الاعتراف بحقيقته؟ على الرغم من أنك ترين كل شيء»

صمتت قليلًا قبل أن تشيح بعينيها عنه للأرض مجددًا وتقول: «لم يختر أن يكون أداة قتل.. بل حُكِم عليه فقط، وتغييره بين ليلة وضحاها مستحيل، يجب أن يكون بالتدريج».

أندرياس بتهكّم: «هل يعقل أنّك معجبة به يا سنيوريتا؟»

«لا!»

«الإنكار القوي هو وسيلة لتجنُّب الحقيقة التي لا ترتاحين لها ولا ترغبين بتقبُّلها».

نظرت له بملامح صامتة، تريه جدّيّتها: «أنت مخطئ، أنا لست معجبة به».

أشاحت بنظرها عنه، ثم قُذِفت الكرة باتجاههما فنهض أندرياس وركلها لتطير بعيدًا ويركض خلفها الصبية وهم يصرخون بشقاوة. ضحك ضحكة خفيفة قبل أن يعقد ذراعيه ويتأملهم بابتسامة صغيرة لاحظتها روبي..

«هل تحب الأطفال؟»

«يجب أن أحبهم بما أن لدي واحدًا».

«لديك طفل؟ حقًّا؟ كم عمرك ومتى أنجبته وكم عمره!؟»

«آي آي تمهلي بالأسئلة يا سنيوريتا» أردف: «أولًا عمري تسعة وعشرون عامًا، ولقد واعدت أمّه لفترة بسيطة وحملت به».

أخرج محفظته وأراها صورة لطفلٍ صغير يشبهه في كلّ شيء تقريبًا عدا لون العينين.

«اسمه آندريه وهو يبلغ من العمر ثلاث سنوات تقريبًا».

«أووه إنه لطيف جدًّا.. ويشبهك!»

قال بغرور: «محظوظ».

«أين هو؟ وأين والدته؟»

جلس أندرياس على الأرجوحة مجددًا وقال: «بعيدان عني.. يعيشان مع جدّته».

استغربت قليلًا: «ما الذي تقصده؟»

«قصة طويلة، لكنهما بأمان هناك على ما آمل».

«وألا تزوره؟»

«ليس كثيرًا...»

أومأت مؤرجحة نفسها قليلًا وهي تشعر أن كلامه مبهم ويخفي شيئًا ما، كما استطاعت أن تلاحظ شرود ذهنه بالصورة للحظة قبل أن يعيد محفظته لجيبه.

«أنت تحبه صحيح؟ ولهذا تضع صورته في محفظتك».

«بالطبع أحبّه. هو ابني الوحيد وأريد أن أعطيه حياة كريمة».

ابتسمت روبي ثمّ فكّرت: «إمم.. أتساءل كيف سيكون الأمر لو حظيتُ بطفل يومًا ما».

«أتريدين طفلًا؟ مع أنّك لستِ نوعي المفضل لكن سيكون رائعًا أن يحظى أندريه بأختٍ صغيرة وسيكون اسمها أندريا».

رمقته بنظراتها: «لا، شكرًا! لو كنت سأحظى بطفل فأفضّل أن يكون مع شخصٍ أحبه ومتزوجة به!»

«آي آي النساء.. لديكن توقعات وآمال كبيرة، ومع ذلك أنتن نعمة لا تُقدَّر بثمن».

تنهدت بتململ ونهضت عن الأرجوحة: «عن إذنك، النّعمة ترغب بالعودة للشقة».

لوّح بيده وهو يسخر: «وداعًا يا سنيوريتا».

التفتت روبي وعادت أدراجها لتجد جماعة من الرجال يجلسون في الفناء يلعبون بالورق ويقامرون فيما بينهم.

أشاحت بعينيها عندما ابتسموا لها بغزل وصعدت إلى حيث الشقة التي وقفت أمام بابها وأغمضت عينيها.

«أرجوك لا تكن في غرفة المعيشة.. أرجوك لا تكن هناك.. كن في غرفتك كن في غرفتك كن في غرفتك»~

زفرت نفسًا طويلًا قبل أن تدخل ولا تراه، لتزفر نفسًا آخر مرتاحًا وتضع يدها على قلبها: «آه هذا جيد.. إنّه في غرفته».

هزّت رأسها وهي تتّجه للحمام، وحينها سمعت صوتًا فغيّرت طريقها للمطبخ فورًا بينما خرج مارسيل وهو يجفف شعره بعد ارتداء ملابسه.

تظاهرت بسكب كأسٍ من الماء، ثمّ حبست أنفاسها عندما شعرت به خلفها واشتمّت رائحة ملطّف الشعر الذي يتشاركانه.

فسحت له قليلًا فسحب إناء الماء الزجاجي ليسكب كأسًا لنفسه ويضع القليل من ورق النّعناع به قبل أن يشربه ببطء مثلما تفعل.. وكأنّهما يشربان الشاي لا الماء.

قالت بنبرة هادئة دون أن تنظر إليه: «هل.. أحضروا لك الأغراض؟ هل كل شيءٍ كامل؟»

ليجيب بالنبرة نفسها: «أجل.. شكرًا».

«للإيضاح، أنت لا تدين لي بشيء و... العفو».

«أعلم ذلك».

نظرا بعضهما لبعض قليلًا قبل أن تقول: «حسنًا.. عن إذنك، أظنُّ أنني سوف أستلقي قليلًا».

«روبي...»

«أجل؟»

«ألم تنظري لوجهك في المرآة؟»

لمست وجهها: «أتقصد الرسم؟ رأيته. ما به؟ هل هو.. بشع؟»

«أندرياس المثير هو سيّدي.. هذا مكتوب على وجهك بالإسبانية».

«ماذاااا!؟» لمست وجهها مجددًا: «أخبرني أنّها تعويذة حظ! آه ذلك الوغد، سوف أقتله!»

تركته وأسرعت إلى دورة المياه لترى الكتابة مجددًا، وأخذت تغسل وجهها وهي تشتم وتتذمّر، ثمّ قرّرت أن تحضر ملابسَ وتأخذ حمّامًا طويلًا وباردًا ليطفئ نار انزعاجها وإحراجها من كونِ مارسيل قد رأى شيئًا كهذا.

وبعد ساعة تقريبًا من التّعرّض لموجات من الماء البارد والساخن، خرجت أخيرًا ووقفت تحملق به وهي متعجبة.. فقد كان جالسًا، ويشاهد التلفاز!

«هل أنت تشاهد التلفاز؟»

نقل عينيه إليها: «هل هناك مانع؟»

«لا ولكن.. لم أرك هكذا منذ أتينا إلى هنا، وتقرأ الكتب في العادة».

«يوجد هنا خمسة كتب مملة فقط، وانتهيت من قراءتها».

«حقًّا؟ هناك صفحات كثيرة في كل واحد وأنهيتها خلال هذه المدة!؟ كما أنها بالإسبانية أيضًا».

«ليس إنجازًا كبيرًا».

هزّت رأسها فقط قبل أن تقترب وتسترق نظرة إلى ما يشاهده، ثمّ جلست على الأريكة الفردية وسألت: «ما الذي تشاهده على أي حال؟»

«فيلم سخيف فائدته الوحيدة أنّه يجعل الوقت يمضي بسرعة».

«وعن ماذا يتحدث؟»

«عن امرأة متزوجة يخونها زوجها مع امرأة أخرى ويتفقان على قتلها، ولكنها لم تمت وعادت لتنتقم منهما».

شهقت بحماسة وهي تنظر للتلفاز: «أووووه يبدو مثيرًا للاهتمام ونوعي المفضل!» نظرت إليه: «لماذا تقول عنه سخيف؟ ألا تفضل هذا النوع من الأفلام؟»

«لا أفضّل مشاهدة التلفاز أصلًا.. لأنني سوف أتذكّر كل شيءٍ أراه مهما بلغت سخافته وأودّ أن أريح دماغي من ذلك».

أومأت بصمت، تنتابها رغبة بالضحك وشعور بالشفقة في الوقت ذاته، ثمّ همّت بالنّهوض لولا أن استوقفتها أفكارها المتضادة مثل جسدها الذي لم يتحرّك.

ترغب بالجلوس معه ولا ترغب بذلك. تريد أن تتابع الحديث وتنسى محادثتهما ولا تريد أن تنسى، تودُّ أن تقترب منه والعكس.. وكأنّ هناك شخصين في الغرفة معها، الأول هو 005 والآخر هو مارسيل الذي تريده.

ولكن الأول يسدّ الطريق للوصول إلى الحقيقي، يجعله صعب المنال، يجعله خفيًّا وغارقًا في الظلام...!

تنهدت تنهيدة طويلة وصامتة، ثمّ حدّقت بالتلفاز وأرخت جسدها قبل أن تنظر إليه.

«ما رأيك بأفلام الخيال؟»

نظر إليها قليلًا، يدرس التغيير الطفيف الذي طرأ عليها فجأة، ثمّ أجاب: «مبالغ بها».

«الحركة؟»

«مبالغ بها أيضًا».

«ماذا عن الغموض والإثارة؟ الرومانسية؟»

«ما الذي تفعلينه؟»

«أريد معرفة ما تفضل ولكن يبدو أنك لم تشاهد شيئًا. ألم تذهب للسينما من قبل؟ ولا مرة؟»

«ذهبت مرة من أجل هدف».

شهقت بصدمة: «قتلته في السينما؟»

«بعد ما انتهى من مشاهدة الفيلم، ولقد كان فيلمًا جيدًا عن السرعة والسيارات».

ضحكت ضحكة خافتة رغمًا عنها: «ويبدو أنك تعلمت الكثير منهم، فهذا يفسر قيادتك!»

تابعت مشاهدة الفيلم وهي لا تفهم اللغة، ولكنها مع ذلك تركز لتستنتج شيئًا من النبرات أو المشاهد الشّيّقة، وأمّا مارسيل فلم يكن يركز مع الفيلم بقدر تركيزه عليها وعلى ردّات فعلها.

«لا بُدَّ أن هذا صديق البطلة والذي يساعدها بالانتقام! ولكن ما الذي يقوله لها ولماذا هي تتكبر ولا ترغب بسماعه؟»

«إنه يريد منها التوقف وأن تنسى الانتقام».

هزّت رأسها: «وهي لا تزال مصرة! آه يا للمسكين».

استمرّ المشهد بين الاثنين وروبي تضيق عينيها وتحاول فهم أي شيء، ثمّ هتف البطل بملامح جادة بكلامٍ لم تفهمه.

«ما معنى هذه الكلمة التي قالها؟ Te quiero؟»

«أحبك»

رفرف قلبها فجأة والتفتت إليه باضطراب: «مـ- ماذا؟»

«معنى الكلمة».

روبي وهي تتدارك الأمر بسرعة: «أوه حقًّا؟ لم أفهمه فقد بدا غاضبًا وهي لم تبدُ مهتمة.. مسكين مسكين!»

لاحقًا، خُتِم الفيلم بنهاية مأسوية مات فيها البطل بعد أن تلقى رصاصة عن محبوبته من زوجها السابق الخائن، وترقرقت عينا روبي بالدموع كما احمرَّ أنفها كثيرًا وهي ترى البطلة تبكي وتحتضن جثته.

قالت وهي تمسح دموعها بالمحارم: «ما الذي تفعله هذه الوقحة؟ لقد فات الأوان على الاعتذار والاعتراف بالحب! آه تبًّا لقد أحبَّها حقًّا وأراد لها السعادة، ولكنها حمقاء ضحت بكل شيء لتنتقم والآن ماذا؟ ستبقى تعيسة للأبد والبطل الوسيم قد مات.. حب مأسوي».

«إنه مجرد تمثيل».

«أعلم ذلك، ولكن أحيانًا الأفلام والروايات تمثل شريحة من الواقع! وربما حدثت هذه القصة بالفعل.

إنه لمن المحزن أن يقع اثنان بالحب ولا يعترفا بعضهما لبعض، ثم يفوت الأوان ويرحل أحدهما ليعيش الآخر بقية حياته في ندم».

صمتت عندما مرَّ والدها بذاكرتها وقالت وهي تتذكّر ابتسامته وضحكته: «ألا تكون قادرًا على أن ترى من تحبه أمامك، تسمع صوته أو تلمسه، تعانقه أو تتحدث إليه وتضحك معه.. صعب ويُفطر القلب».

فكَّر مارسيل قليلًا ثم سأل: «وهذا هو الاشتياق صحيح؟»

«نعم يمكنك قول ذلك.. آه أشعر أني مكتئبة الآن، كما أنهم يحتفلون بيوم الموتى أيضًا وهذا يزيد الطين بلة!»

«هل شاهدت الاحتفالات؟»

«أجل، وأخافتني الجماجم المتحرّكة!»

قال بتهكّم: «خفتِ من ذلك أيضًا؟»

«أخاف من كل ما هو مخيف!»

«ألم تتعلمي أن تتغلبي على الخوف بعد؟»

«آه وكأن الأمر سهل.. أوه لقد بدؤوا يعزفون».

تعالت أصوات الموسيقى التي يعزفها الأهالي في موكب أمام المبنى، ولقد كانوا يسيرون للمقابر، وكذلك عزف بعض الرجال على الغيتار وآلات أخرى في الفناء، وبالطبع كان صياح أندرياس بينهم ملحوظًا، وأرادت روبي أن تقفز من النافذة وتركض لتضربه ولكنّها أجّلت ذلك وشتمته في رأسها.

ثم غادروا المبنى معًا وخفتت الأصوات والموسيقى شيئًا فشيئًا إلا صوت غيتار رجلٍ واحد يعزف أنغامًا هادئة وجميلة وحوله الشموع والزهور المخملية..

«إن عزفه جميل أليس كذلك؟ وأراهن أنّ الاحتفال في الليل أجمل بسبب أضواء الشموع».

أومأ مارسيل فقط دون النظر إليها، وكأنه يجاريها بإجابة فقط.

حدقت به قليلًا قبل أن ترسم ابتسامة على وجهها وتقول: «أتعلم ما سيكون رائعًا في هذه اللحظة؟ مشروب الكاكاو الساخن! ما رأيك؟ هل تود أن تشاركني؟»

لم يرفع نظره إليها لأنه يفكر.. ماذا يجب أن يجيب، ما الذي يريده وما الذي يجب أن يريده ويفعله،

كيف يقول لا عندما تكون الإجابة نعم، وكيف يقول نعم عندما يجب أن يقول لا؟

وعلى غير عادة روبي هذه المرة، فلم ترضَ أن تصاب بالإحباط بل ابتسمت وقالت بحماسة: «سأحضّر كوبًا لك وسيعجبك! وربما سأضع لك حلوى الخطمي كطبقة».

التفتت للمطبخ بينما مارسيل يحدق بها ويتصارع مع الأفكار التي تجتاح رأسه، وعلى عكسها فهو يطردها بل ويقتلها بسرعة!

ظلَّ يراقبها وهي تهمهم في المطبخ، تحضّر مشروب الكاكاو وتستنشق رائحته المغرية، ثم انجرفت ودندنت بنغمة لعبة ڤيديو شهيرة وهي تضع قطع الخطمي الصغيرة.

أطبق شفتيه وأشاح بنظره عنها قبل أن يحارب تلك الابتسامة الصغيرة الساخرة على شفتيه، ثم تداركت روبي نفسها وهدأت على الفور.

حملت الكوبين ثم وضعت كوبه أمامه وجلست تستنشق رائحة الكاكاو من كوبها، بينما تأمَّل مارسيل الشكل العام ولم يجده سيئًا.

«تذوقه، لن تندم يا سيّد صحّي!»

قال وهو يحمل الكوب: «هل أنتِ بارعة بتحضيره مثل الخبز الفرنسي المحمص؟»

ابتسمت بخجل وبلادة: «هل كان الخبز المحمص جيدًا؟ آه أسعدتني»

«لم أقل ذلك يا روبي.. ركزي».

«ولكن هذا ما عناه كلامك!»

لم يجبها مارسيل، وشعرت بسعادة تأسر قلبها، ثم رفعت نظرها له بخجل وتوتر وسألت:

«كيف هو؟»

مارسيل وهو يشاهد التلفاز: «جيد».

رفرف قلبها ولكن إجابته لم تشبع غرورها فقالت: «لو كان جيدًا فقلها وأنت تنظر إلى عينيَّ لا داعي أن تشعر بالحرج».

وقعت عيناه عليها وقال: «لست محرجًا».

شعرت بنفحة هواء بارد تغطي قلبها هذه المرة وعادت للاضطراب مجددًا بسبب نظرته تلك، فحاولت إلهاء نفسها بمشاهدة التلفاز والاستماع لصوت عزف الرجل، ثم اندمجت مع موسيقاه وهي تحرّك الكوب بين يديها بلطف وتتذكر ذكرى أخرى حلوة جمعتها بوالدها.

«أبي.. توبي سميث، اعتاد منعي مِن شرب الكاكاو الساخن قبل النوم قائلًا إنه سيسبب لي أحلامًا غريبة وكوابيسَ».

قال بتهكّم: «أيجب ألا أنام إذًا؟ هل هذه طريقتك للانتقام منِّي؟»

ضحكت قبل أن ترد: «لقد كانت طريقة منه كي يمنع السكر عني قبل النوم». استطردت بنبرة مهتمة: «هل أنت قلق من أن تحظى بكوابيس؟ هل تهابها؟»

«لا.. إنها مزعجة فقط».

صمتت قليلًا ثم سألت: «أما زلت تراه؟ الأمير».

«بلى».

صمتت مجددًا محاولةً البحث عن أي كلمات لترفع من معنوياته قليلًا، فقد شعرت أنه حزين أو هكذا تظنّ وترغب أن تظنّ!

«هل تعتقد أنهم يطاردونك أم أن عقلك مَن يفعل ذلك بك؟ ضميرك أو...»

مارسيل مقاطعًا: «ما الذي تحاولين الوصول إليه؟ أنني أراهم بسبب شعور الذنب؟»

«ربما...»

«لا أشعر بالذنب، أو النّدم».

عمّت لحظة صمت جافّة، تنفّر القلوب وتهدّد بانتهاء اللحظة المميزة بينهما.

«أنا أحاول أن أساعدك وأبحث عن حل يريحك».

«لم أطلب مساعدتك يا روبي، وأنا مرتاح.»

قلبت ناظريها بانزعاج ثم خطر ببالها شيء فعدلت جلستها واقترحت: «حسنًا، ما رأيك؟ سوف نتحدث ولن نوجّه الانتقادات أو الأحكام بعضنا لبعض، اتفقنا؟»

«ولماذا سأفعل ذلك؟»

«حتّى نهدر الوقت كما تريد بشيء ممتع ومفيد».

زفر بهدوء قبل أن يعدل جلسته وينظر إليها بنظراته المعتادة: «حسنًا.. ابدئي».

«ولمَ أنا؟»

«أنتِ مَن اقترح الأمر».

تأففت وأخذت تفكر وتفكر: «ممم لا.. لا يخطر ببالي شيءٌ الآن. اسألني فقط وسأجاوب، ولا تتباهَ بكونك تعرفني فأنا مليئة بالمفاجآت يا سيد ويليامز!»

«أعرف، وهذا ما يعجبني بك».

خفق قلب روبي بقوة لجملته التي قالها: أثرت بها بشكل كبير، ولكن بدا لها أن مارسيل قد قال تلك الجملة بشكلٍ عابر، ولا يعني أي شيء مما تفكر به.

تنحنحت: «حسنًا.. سؤالك؟»

فكَّر للحظة ثم سأل: «لماذا يهمّك الالتحاق بالجامعة لهذه الدّرجة؟»

حدّقت بكوبها وهي تفكّر، ثمّ قالت: «برأيي، سأجد في الجامعة ما أودّ أن أقضي بقية حياتي أعمل به.. وأنا لا أرغب أن أكون نادلة أو عاطلة لبقية حياتي.

أريد بناء حياة مريحة، أو أنشئ مشروعًا ولكن مع الأسف لا أملك الفكرة ولا المال الكافي..»

«هذا كلّ شيء؟»

ابتسمت بإحراج: «هناك أسبابٌ أخرى ولكنّها صبيانية جدًّا. أفكار الروايات والمراهقة» تابعت: «رغبت بالذهاب للجامعة من أجل رحلة البحث عن نفسي وعن الحبّ. تخيّلت أنني انضممت إلى إحدى الجمعيات وتعرّفت على الشّاب المنشود في حفلة. سيُعجب بي وسنتواعد ونتعرف بعضنا على بعض أكثر، نتزوج بعد الجامعة وربما ننشئ عملًا معًا أو أصبح ربّة منزل كبير وأسافر مع عائلتي لأرى العالم في الإجازات».

«إذًا أنتِ من النّوع الذي يتمنى أمنيات بسيطة مثل التعليم، الزّوج والحبّ كحياة؟»

«لا يوجد عيب في تمنّي الأحلام البسيطة أو المعتادة بين الناس،

وقد تكون بسيطة في نظرك ولكنّها عكس ذلك للآخرين».. هزّت كتفها بابتسامة حزينة: «على أيّ حال.. لم أحظَ بأيٍّ من تلك الأحلام».

«هكذا إذًا...»

«دورك للتحدث! هل تريدني أن أسأل أم سوف تتحدث من تلقاء نفسك؟»

«اسألي فلا يخطر ببالي شيء».

قالت وهي تفكّر: «همم أوه! لا.. هممم..»

«هل نفدت أسئلتك؟»

تذمّرت: «أنت السبب! لا تفضّل شيئًا ولا تحب شيئًا وحياتك واضحة بشكل مخيف.. آه وجدتها وجدتها!»

«ما الذي وجدته يا روبي؟»

«خطرت ببالي فكرة ستناسبك! سأعطيك خيارين، وعليك أن تختار بينهما وإن لم تفعل ذلك فسوف تخسر! وأعلم كم تحب التحديات لذا ما رأيك؟»

ارتشف من كوبه وقال بلا مبالاة: «حسنًا».

«القهوة أم الشاي؟»

صمت مارسيل محدقًا بكوبه لتتسع عينا روبي لكونه يفكّر بالإجابة بالفعل!

منعت الابتسامة من الظهور ثم نظر إليها وقال: «الشاي».

«أصولك الإنجليزية وجدت طريقها أم أن هذا قرارك حقًّا؟»

لم يجبها، بل حدق بها قليلًا قبل أن يقول: «دوري».

«حسنًا؟»

«المال أم الجمال؟»

شهقت بتعجب: «أنت تلعب على مستوًى آخر كما هو متوقع منك يا مارسيل!»

«ما اختيارك؟»

«آه الاختيار صعب حقًّا!»

«أنا الفائز إذًا، كانت لعبة قصيرة جدًّا».

«لا لا لا مهلًا مهلًا! هممم هذا صعب ولكن أظن أنني سأختار المال!»

«غيرت رأيكِ، ما السبب؟»

قالت بغرور: «لأشتري غواصة حمراء مثل التي كانت لديك وسيارة رياضية أيضًا!»

ضحك ضحكته الخافتة وهو ينظر باتجاه التلفاز لتبتسم روبي قليلًا قبل أن تقول: «دوري.. المسدسات أو السكاكين».

«كلها مهمة».

«لا لا لا لا يجب أن تختار يا ماغسيل!»

قلّب ناظريه وقد بدا عليه الانزعاج قليلًا، فالقرار صعب، وروبي مستمتعة بما تراه.

«السكاكين».

«حقًّا؟ ولماذا؟ ظننتك ستختار المسدس».

«المسدس لا يساوي شيئًا إن نفدت الرصاصات ولكن السكين تبقى حادة لوقت أطول».

«تفكير اقتصادي. لستُ متفاجئة».

مارسيل بعد أن تأملها قليلًا وهي تشرب الكاكاو: «لو وقعتِ في مأزق وتحتم عليكِ الاختيار بين القتل أو الموت فماذا ستختارين؟»

حدقا بعضهما ببعض للحظات وكانت روبي تفكر بالإجابة حقًّا.

«أظنني سأختار كليهما، فقد يحدثان في الموقف ذاته.. قد أُضطر للقتل لو كان الشخص الذي أحبه في خطر وقد أموت في سبيل إنقاذه ونجاته».

«هل ستختارينه عوضًا عنك؟ لماذا؟»

«لأنني.. أحب ذلك الشخص... أو الأشخاص مَن يعلم العدد! وقد أنجو معهم أيضًا. كل ذلك يعتمد على الموقف الذي سأكون فيه، ولكن بعد التفكير مجددًا لا أظنني سأكون قادرة على القتل بقدر التضحية».

«همم...»

سألت بعد لحظة صمت: «ماذا عنك؟ بين الحماية والقتل، ماذا تختار؟»

«القتل».

«لم تفكر قبل الإجابة حتى!»

«القتل هو الخيار الأسهل بالنسبة لي».

«وهل هذا معيار الاختيار لديك يا مارسيل؟ السهولة؟ عجبًا!»

«روبي...»

اضطربت عندما ناداها بنبرة عميقة ثم رفعت عينيها بتوتر وقالت: «ماذا؟»

«إن تحتم عليك الاختيار بين الشوكولا أو الحلويات المضغية لتأكليها لبقية حياتك فماذا تختارين؟»

شهقت بصدمة: «كيف تجرؤ؟ هذا سؤال جادّ ولا تعلم كم أحب كليهما!»

«اقتحمتُ شقتك الضيقة مرة ورأيتك تخبئين الحلوى تحت الوسادة».

«لا يعقل! هل اقتحمت شقتي حقًّا؟ هل كنت تنوي تسميمي بالحلوى؟ آه أنت متوحش يا مارسيل! لا أصدق ذلك».

«لم أكن سأقتلك بتسميم الحلوى بل أردت أن أدرسك أكثر وأرى الطريقة المثلى لقتلك».

روبي بازدراء: «وهل تظن أن تمويه الانتحار كان الطريقة الأمثل؟»

«لم تملكِي أعداءً وكنت مسالمة مع الجميع لذا قصة الانتحار منطقية».

«لعلمك، لم أكن لأنتحر رغم حياتي الصعبة».

«أتقولين إنه كان يجب عليَّ أن أنهي حياتك برصاصة واحدة؟»

«لا!»

أمال رأسه مستمتعًا: «ماذا إذًا؟»

رفعت ذقنها بتكبّر: «كان يجب ألا تنهي حياتي أصلًا! ولكنك خطفتني بالسيارة وضربت رأسي بالمقود بقوة لدرجة تركك علامة على جبهتي! ثمّ بووووم! أستيقظ لأرى نفسي غارقة و...»

صمتت قليلًا عندما تذكرت ذلك الرعب مجددًا، ثم نظرت إلى مارسيل، ولم تكن نظراتها تأنيبية أو حاقدة وإنما نظرات تساؤل:

«تركت النافذة مفتوحة عن قصد، صحيح؟»

«صحيح».

«هل كان ذلك لأنجو؟ هل أردتَ منّي ذلك؟ ولهذا لم تقتلني تمامًا». تابعت: «أنا.. أتساءل في كثير من الأحيان ما إن كنت تركتني حيَّة عمدًا أو أردت مساعدتي، أو بسبب من كان يراقبك».

ثبّت نظراته عليها، لقد حامت حول الحمى لتوِّها، لكنّه لن يسمح لها بالتّجوال أكثر!

«لم أتركِكِ حية عمدًا، وفتحت النافذة بعد أن شعرت برغبة في المراهنة.. راهنت على موتك وأنّك لن تنجي، ولن يصل من يراقبني إليكِ في الوقت المناسب ولم أكترث لهم على أيّ حال. كنتُ أظنّ أنني الفائز حتى ظهرتِ مجددًا».

صمتت روبي ثم عضت شفتها حتى لم تعد تستطيع الكتمان أكثر وابتسمت ببلادة وغرور، مما دفعه للاستغراب:

«ما الأمر؟»

«لقد فزتُ عليك! كنت تظن أنك الفائز، ولكن أنا مَن فاز!» انفجرت ضاحكة وهي تقول: «آه هذا لا يصدق حقًّا! هذه مأساة مضحكة».

رمقها بنظراته، ثم قال ببرود: «أسحب ما قلته لقد فتحتها حتى يتمكن الماء من الاندفاع للداخل بسرعة وتموتي».

تجمدت ونظرت له بفزع جعله لا يستطيع مقاومة الابتسامة الساخرة التي ترتسم على شفتيه، ثم انفجرتْ بالضحك مرة أخرى.

قالت باحتجاج وهي تضحك: «توقف عن التلاعب المرعب!»

ضحك مارسيل ضحكات مكتومة وهو يشيح بنظره عنها ويغطي فمه بينما هي تتأمله وتضحك برقة.

«هل تضحك؟ أنا جادة فتوقف عن ذلك!»

«الأمر...»

قالت وهي تشير بسبابتها نحوه: «لا تقل ممتع! لاااا تقل ممتع!»

حارب ضحكته مجددًا فانهارت روبي بالضحك والبكاء في الوقت ذاته مما أثار تعجبه.

«هل أنتِ تضحكين أم تبكين؟»

قالت بصوتٍ عالٍ وهي تضحك وتذرف الدموع: «كلاهما!»

«ماذا وضعتِ في المشروب؟»

«لا شيء! أقسم! ولكن أظنني فهمت لِمَ كان أبي يمنعني عنه».

هزَّ مارسيل رأسه مستسلمًا بينما روبي تحاول التوقف والخروج من الحالة الهستيرية المضحكة هذه حتى نجحت أخيرًا وتنهدت تنهيدة طويلة، ثم حدقا بعضهما ببعض مجددًا ولم تتحمل الشعور الذي ترسله نظراته لها فالتقطت كوبها وأخذته للمطبخ لتغسله، ولا يزال مارسيل يحدق بها حتى اشتم رائحة غريبة مثلها!

«هل تشمّ ذلك؟»

«أجل.»

اقتربت من النّافذة: «رائحة دخان.. ولكن من أين؟»

2: الرّجل المنتظر

«وقبل أن أدرك ما يجري حولي... وجدت نفسي أقع في حبّها».

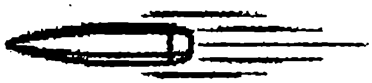

أطلت روبي من النافذة واقترب مارسيل ليلقي نظرة كذلك. لم يكن هناك أحدٌ في الفناء الهادئ، لكنهما سمعا صوت ضجة مقلقة تصدر من الخارج.

«لقد اختفى العازف أيضًا، سأخرج وأرى ما يحدث».

قالت ذلك وهمّت بالخروج، وعندها ولا شعوريًّا، أمسك معصمها فالتفتت تنظر إليه بعينيها البريئتين بتساؤل لم يملك له أي إجابة، والثواني القليلة التي تنقضي الآن وفي هذه اللحظة تقتله! تشعره بضغط عصبي لم يشعر به من قبل.

ترك معصمها: «إلى أين تذهبين؟»

«قلت لك. سأذهب وأرى ما يحدث».

«ليس من شأننا ما يجري في الخارج. لا بُدَّ أنهم يُحدثون شغبًا أو ما شابه».

«أووو يبدو الأمر ممتعًا، سأذهب وأختلس نظرة ثم أعود فقط».

دوت أصوات الزجاج المتحطم، الضخب والصرخات فشهقت وهتفت:

«ما الذي يحدث؟ هل نحن في خطر؟»

استغرب مارسيل بدوره أيضًا، لكنه لا يزال ساكنًا، حتى اقترحت روبي المتطفلة أن يذهبا للسطح فتنهَّد باستسلام ولحق بها.

تسلّلا للخارج، ولم يكن هناك أحد ليهدِّد مارسيل، ثمّ فتحت باب السطح قليلًا واسترقت نظرة بحذر لترى ما إن كان خاليًا.

«ما الذي تفعلينه؟»

قالت بهمس وهي تعقد حاجبيها: «أحاول أن أكون حذرة؟ ماذا دهاك يا 005!؟ يجب أن تكون مُلِمًّا بذلك».

«لماذا تهمسين؟»

«آه آسفة. المكان خالٍ. هيَّا!»

فتحت الباب أكثر وخرجا للسطح، وحينها تفاجأت لرؤية أضواء الاحتفالات التي تفسدها الانفجارات الصغيرة المتتابعة، والدخان الذي يحاول أن يلتقي مع السماء ويكسوها بالسواد أكثر!

ثم رأت السكان وهم يركضون للهرب والاختباء من أولئك المجرمين الذين يقودون الدراجات النارية، يطلقون الرصاصات في الهواء، ويرمون الزجاجات الحارقة أو ما يسمى «مولوتوف» على المنازل!

«ما الذي يحدث؟»

«يبدو أنهم يتعرضون للهجوم من قِبل عصابة أخرى...»

«يا إلهي...»

«هيَّا، يجب أن نعود، فقد يتعرض هذا المكان للهجوم أيضًا».

قالت وهي تهز رأسها بشرود ذهن: «حسنًا».

ابتعدت ببطء عن السور والتفتت لتغادر، وتعالت أصوات الصخب وتحطم الزجاجات الحارقة على المنازل، ثمّ شق صوت صرخة كل

تلك الأصوات وأصاب قلب روبي التي تجمدت مكانها لوهلة متذكرة صرختها وهي تنادي والدتها.

التفتت عائدة بسرعة وبقيت تتلفت بقلق باحثة عن مصدر صوت الأطفال ونباح الكلب حتى وقعت عيناها على المبنى المجاور الذي يأتي الصوت من اتجاهه

«هناك أطفال يصرخون! إنّ صوتهم قادم من هناك، يبدون قريبين جدًّا».

ابتعدت عن السور ونظرت إليه وهي تمشي باتجاه بالباب.

«ربما يحتاجون للمساعدة ولا يوجد أحد حولهم!»

مارسيل وهو يحاول التمسك بأعصابه: «ما الذي تفعلينه؟»

«لقد ابتعد رجال أندرياس على ما يبدو لذا سأذهب إليهم! إنهم أطفال، ولا بُدَّ أنهم في خطر ويجب أن نساعدهم».

«هم ليسوا مسؤوليتنا ولا مشكلتنا، لذا لنعد للشقة ولنبقَ هادئين».

«عد أنت إذًا وانتظرني، أنا قلقة جدًّا لذا سأذهب وأتفقدهم ثم أعود بسرعة!»

أحكم قبضته اليمنى ببطء محدقًا بروبي وهي تلتفت متجهة للباب مجددًا، ثمّ توقفت لثانية عندما فتحته.

«مارسيل...؟»

نظر إليها، كان وجهها مضطربًا وقلقًا لكنها أخفت كل ذلك خلف ابتسامة صغيرة بالكاد تسمى بابتسامة، وعلم أنّها خائفة.

«إذا تأخرت بالعودة أو ضعت فابحث عني من فضلك، اتفقنا؟»

مضت في طريقها دون سماع إجابته، وكان لا يزال يحدق بها وبالباب الذي يُغلق ببطء ويحجبها عنه

«لا تذهبي، هذا خطر. قد تَمُوتين برصاصة طائشة أو تحترقين، قد تُخطفين أو تُدعسين لذا لا تخرجي، كفّي عن التهور بشكلٍ أحمق هكذا..

لماذا لم أستطع قول هذه الكلمات؟ مع أنها خائفة وقلقة، ولماذا أنا أفكر بهذا الآن؟ ما الذي يحدث لي؟

«ما الذي تفعله بي هذه التي تدعى روبي؟»»~

انتشر الدخان أكثر، وتعرّضت المنطقة لوابلٍ من الزجاجات الحارقة، كما كانت هناك دماء على الأرض وأجساد رجال مطرَّحة بجانب الجماجم وزهور المخملية المتناثرة في كل مكان...

شقت روبي طريقها رغم كل المخاطر حتى استطاعت الوصول للمبنى المقصود وهي تسعل بسبب الدخان الذي تسلل لصدرها، لتجد فتاة صغيرة تقف عند الدرج، تخاف الخروج كي لا يتعرض لها المجرمون وتصرخ فقط.

اقتربت منها روبي وأمسكت بكتفيها، تسألها ما إن كانت بخير أم لا لتشير الفتاة الصغيرة للأعلى وهي تصرخ وتحاول سحبها معها فامتثلت لذلك وصعدت حتّى وجدت باب شقتهم المفتوح ودخلت لترى إخوتها حول والدتهم التي غشي عليها بسبب الدخان الناتج من النافذة المحترقة، وكانت النيران تلتهم صالة المعيشة ببطء أيضًا! لقد كانوا ثلاثة، توءمين ذكرين وفتاة وكلهم يبدون صغارًا في السن.

جثت لتفقد الأم وحينها أشارت لها الفتاة بيديها لتدرك أنّها صمّاء، وتفاجأت عندما أدركت أنّ جميعهم لا يسمعون ويضعون سماعة أذن مساعدة! لا يسعهم طلب النجدة سوى بالصراخ فقط...

«يا إلهي لا أفهم كلمة! هيَّا ساعدوني لنسحب والدتكم للخارج!»

أشارت لوالدتهم وفهموها نوعًا ما، ثمّ أمسكت بالأم وسحبتها معهم بقوة خارجًا مبتعدين عن الشقة ومغلقين الباب.

حاولت إيقاظ الأم مع أطفالها، ولكن دون فائدة، فلا تزال غير واعية لما يحدث حولها.

«ألا يوجد أحد من السكان قد يساعدنا؟ أين هم؟»

طرقت روبي باب الشقة المجاورة بعنف ونظرت للطوابق العليا كذلك ليجرّها أحد التوءمين من ذراعها ويحاول أن يشرح لها شيئًا.

«ما الذي تعنيه؟ هل هم فوق؟ في السطح!؟» نظرت للأعلى: «لا يمكنني سحب والدتكم كلَّ هذه الطوابق لذا سأصعد وأجلب أحدهم ليساعدني».

صعدت الدرج الأوّل، وقبل أن يتسنى لها المتابعة مرّ أحدهم بدراجته النارية وقام بقذف الزجاجة بقوة لتخترق نافذة الدرج وتنفجر أمامها مباشرةً، لقد كانت الضربة وشيكة جدًّا، من حسن حظّها أنّها نجت منها ولكن لسوء حظّها وحظّ الأطفال أنّ الطريق للأعلى بات مسدودًا ولا تستطيع المواصلة!

شتمت وهبطت لتراهم مذعورين ويحتضنون والدتهم، حاولت أن تشرح لهم أنّها ستخرج وتحضر المساعدة لكنهم كانوا يعقدون حواجبهم بعدم فهم ويبكون ممّا آلم قلبها أكثر.

حاولت الشرح مرة أخرى قدر المستطاع، وحاولت وصف أندرياس كذلك قبل أن تتركهم أخيرًا وتهبط لمدخل المبنى القديم.

راقبت الوضع الذي كان مرعبًا فقد كان هناك تبادلٌ للنيران وسط الدخان ورجال غاضبون يركضون في الأرجاء.

أشارت وصرخت طالبةً النجدة علَّهم يلاحظونها، ثم لمحت أندرياس من على بُعد وصرخت تناديه لكنه لم يستطع سماعها فغضبت وقررت ترك المدخل والركض إليه.

ركضت عبر أحد الأزقة الضيقة لتصل للجهة الأخرى، واختبأت عندما بدأ تبادل النيران بين المافيا ومسبِّبي الشغب مجددًا، ولقد استطاعوا الإطاحة ببعض الرجال الذين كانوا يقودون الدراجات النارية، ولكن أندرياس أُصيب في خضم كل ذلك وأمام عيني روبي!

ركضت تناديه بينما يساعده بقية الرجال، ومن حسن الحظ أن إصابته لم تكن بليغة بل سطحية.

تفاجأ عندما رآها وهتف بغضب: «ما الذي تفعلينه هنا؟ المكان خطر وأخبرنا الجميع أن يلزموا منازلهم!»

«هناك عائلة تحتاج المساعدة بشدّة، أطفال ولا يسمعون ووالدتهم فاقدة الوعي! شقتهم تحترق والدرج للسطح بات مسدودًا بسبب النار كذلك!»

أومأ أندرياس وأمر أحد الرجال بمرافقته، ثم تبعا روبي التي أرشدتهما للمبنى بحذر، وكان يتبعها في وضعية متأهبة لإطلاق النار في أي لحظة رغم إصابة ذراعه.

ثم باغتهم هجوم آخر فتراجعوا أدراجهم واختبأت روبي خلفهما وهي تنخفض على ركبتيها، ولاحظت ازدياد عدائية العصابة الأخرى وخاصةً تجاه أندرياس الذي أرادوا الاقتراب منه وإيذاءه أو قتله بأي طريقة!

تراجع إلى حيث تختبئ ليغير ذخيرته ثم قال: «عودي لشقتك فورًا وابقي هناك!»

«ولكن ماذا عن الأطفال؟»

«سأرسل أحدًا من أجلهم لذا عودي وخذي هذا المسدس معك».

«ماذا.. ! هذا.. لا أستطيع!»

أندرياس بصرامة: «ليس عليك أن تقتلي أحدًا! دافعي عن نفسك فقط لتعودي بسلام، والآن ارحلي فالطريق آمن وهم يتجمهرون هنا من أجلي».

«هل ستكون بخير؟»

قال بابتسامة وأنفاسٍ سريعة: «لا تقلقي عليَّ يا سنيوريتا فأنا لا أنوي الموت الليلة، كما أن لدي ابنًا وسأعيش لأراه يكبر ويصبح رجلًا مثلي.. والآن اذهبي!»

حملت السلاح بتردد وتحركت حالما تحرَّك أندرياس إلى رجاله، ثم مشت بخطواتٍ سريعة عبر الشارع والأزقة التي اختبأت في أحدها وأخذت تنظر للسلاح في يدها حتى سعلت مجددًا بسبب الدخان وانقبض قلبها عندما تذكرت الأطفال.

«لا بُدَّ أنهم بانتظاري لأعود ومعي المساعدة! ماذا لو انتشرت النيران أكثر واحترقوا أو اختنقوا بالدخان وماتوا؟ هل سيكون ذلك بسببي أيضًا؟»~

زفرت بتذمّر: «سحقًا! ما هذا الحظ الذي أملكه؟ غرق ومطاردة بالسيارات، النيران والنيران مجددًا! ما التالي يا إلهي!؟ الوقوع من طائرة؟»

تنهدت باستسلام وغطت أنفها وفمها بقميصها، ثم أخذت نفسًا

قبل أن تغيّر طريقها وتذهب إلى حيث الأطفال لتتفاجأ بعدم وجودهم وأنَّ النار التي كانت تسدّ الدرج قد تم إخمادها!

صعدت للأعلى وهي قلقة، ثمّ فتحت باب السطح لتجدهم مع بعض السكان الآخرين، وكانت الأمّ قد استعادت وعيها لكن ما تزال مرهقة وحولها صغارها.

ابتسموا وأخذوا يشيرون لوالدتهم وكأنهم يخبرونها بما فعلته روبي التي زفرت بارتياح وهي تضع يدها على قلبها، وخلال ذلك انفلت الجرو وهو ينبح وهرب عبر الباب لتصرخ الفتاة وتهمّ باللحاق به، كما نادته الأمّ باسمه وأوقفت روبي الفتاة قائلةً إنها ستحضره، ولم تكفّ عن شتم الجرو ونفسها لهذا الخطأ الغبي طوال هبوطها للأسفل.

وخلال كلّ ذلك، كان مارسيل قد غادر الشّقة مسبقًا بعد عشرين دقيقة قضاها وهو ينظر لعقارب الساعة بصمت تخللته أصوات الشغب في الخارج مع رائحة الدخان.

وفي كل دقيقة مرت، تخيل طريقة لموت روبي ونهايتها.. وقضى آخر خمس دقائق وهو يشاور نفسه بشأن خروجه من عدمه، حتى نهض بهدوء بعد الصراع الغريب الذي عايشه، وشق طريقه للخارج بخطواتٍ راكزة، غير خائف أو قلق من الخطر حوله؛ فقد تعرض لما هو أخطر من هذا وأشد رعبًا!

وبينما كان أندرياس ورجاله لا يزالون يتبادلون النيران مع أعضاء العصابة، صعد إلى أحد الأسطح وأخذ يحصي عددهم وعدد ما يملك في ذخيرته، ثم اتخذ وضعيته وأطلق النار بتصويبٍ ممتاز عليهم رغم حركتهم والدخان الخفيف، مما جعل انتباههم جميعًا يتوجه للسطح، فصاح أندرياس برجاله أن يتابعوا بينما مارسيل لا يزال يصوب على أفراد

العصابة حتى انتهت ذخيرته فتراجع للخلف وبدَّل الذخيرة بسرعة قبل أن يعود ويستهدف أصحاب الدراجات بطريقة ذكية جدًّا!

انتظر اقترابهم من مرمى إطلاقه، ثم أطلق النار على الحقائب خلف ظهورهم والتي كانوا يحملون بها الزجاجات الحارقة لتنفجر وتحترق، وكانت عينا أندرياس تراقبانه بتركيز حتى انتهت ذخيرته مجددًا وانسحب رجال العصابة الناجون بعد رمي الحقائب المشتعلة، كما أخذوا رفاقهم الذين خلعوا ملابسهم المحترقة وهربوا جميعًا.

صوّب الرجال أسلحتهم نحو السطح، تحديدًا إلى مارسيل الذي كان يراقب الأفق بصمت باحثًا عن روبي، وينتظرون أوامر أندرياس الذي كان يراقبه بحدّة.

«اهبط بلا أي مقاومة».

تجاهل أمره وابتعد عن سور السطح ليهرب منهم فغضب وهتف بالرجال: «أريده حيًّا!»

هرب مارسيل إلى سطحٍ آخر وسلك عدة طرق ليموِّه ويتخلص من أعضاء المافيا الذين يلاحقونه، وكان يشاهدهم وهم يركضون ويتجاوزون مكان اختبائه أيضًا، استطاع التفوق عليهم جيدًا... وإن كان هناك لقب ملك لعبة الغميضة فحتمًا سيكون لـ 005 الذي يعد ماهرًا بالاختباء فلا يجده أحد إلا برغبته، وماهرًا بالبحث فلا يبقى لاعبٌ إلَّا قد وجده وأقصاه!

سرَّع خطواته واختبأ في أحد الأزقة المظلمة والتي تفصل بين شارعين ضيقين، ثم اتكأ على الجدار وأخذ يستمع إلى كل الأصوات حوله.

هناك صوت الرجال وهم يركضون ويتناقلون الأوامر، وآخرون يحاولون إخماد النيران مع السكان، أطفالٌ يبكون ويسعلون، صوت بعيد لإنذار شاحنة إطفاء الحرائق، والسيارات ذوات العجلات الثلاث.

ثم بدأت بعض الأصوات تخفت، وكان يحاول أن يسمع صوتها تصرخ أو تطلب المساعدة، أو حتى صوت أحدهم وهو يقول: ((لقد وجدنا امرأة ميتة)) أو حتى: ((لقد أخذت العصابة رهينة معهم!))

أي شيء! أي خبر عنها سيكون كافيًا ليطفئ تلك الشعلة التي يشعر بحرارتها داخل صدره!

ثمّ اهتز هاتفه في جيبه، ليتنهد بصمت قبل أن يلتقطه ويرى رقمًا محجوبًا، واتضح له من الصوت أن المتصل هو مورينو مايورانو، -رئيس مافيا ندرانجيتا الإيطالية-.

«005؟»

ردّ بصوت هادئ: «أجل».

«أعتقد أنّك اطلعت على آخر الأخبار».

«رأيتها.. هل عقدتم اجتماعًا بخصوصي؟»

«فعلنا، لقد التمس الكثيرون عذرًا لك وطالبوا بالعفو عنك وضمّك لهم؛ لذا يجب أن تكون فخورًا بنفسك وبهذه السمعة التي تملكها، وبالمقابل كان هناك من هو غاضب جدًّا ويراك تهديدًا وخطرًا يجب أن يُتخلّص منه، وخاصةً آل ڤولكوف الذين تطوعوا لإعدامك».

قال ببرود: «ليسوا المسؤولين عن تطبيق حكم الإعدام بل أنت».

«صحيح، ويجب أن أعترف لك أنّي أشعر بالسوء حيال هذا، فأنت أداة قتل مفيدة لنا جميعًا وخسارتك كبيرة.. ولكن يمكننا النظر في الأمر مجددًا لو أنكرت التهمة».

«لن أنكر أي شيء».

«مؤسفٌ إذًا».

«هل أتوقّع من رجالك أن يأتوا ويأخذوني؟»

«لا، فلقد تواصل معي رجل مهم وأخبرني أنّه سيتولى أمرك سرًّا ولم أستطع رفض طلبه.. إنّه جاريد إيڤان».

سرى شعورٌ باردٌ كالصقيع في جسد مارسيل وهو يسمع اسم جاريد ينساب من بين شفتي مورينو، ثمّ شدّ على هاتفه وارتسمت ابتسامة مرتجفة على وجهه!

أنهى المكالمة وعانق جسده المرتعش وهو يبتسم بشكل مرعب ويتمتم: «لقد حان الوقت أخيرًا. إنه قادم إنه قادم إنه قادم! أنا خائف أنا سعيد! سوف أقتله سوف أقتله!

إنه قادم إنه قادم إنه قادم! إنه قادم إنه قادم إنه قادم! أنا خائف أنا سعيد! سوف أقتله سوف أقتله!»

انكمش على جسده أكثر وهو يردد تلك الكلمات وتعصف به رياح الجنون، الخوف، النشوة!

ثم هبت نسمة الربيع الدافئة التي حملت قوة استطاعت إزاحة العاصفة وبصرخة واحدة.. صوت واحد فقط!

«ماتشا!»

ارتعد قلبه وبثّ حرارة جعلت جسده يتوقف عن الارتعاش ويلتفت باتجاه الصوت، ثم تحركت قدماه ومشى إلى نهاية الزقاق قبل أن يتوقف...

لا يزال في الجانب المظلم، لكنه ينظر إلى روبي التي أمسكت الجرو أخيرًا والتقطت أنفاسها المتعبة تحت ضوء عمود إنارة الشارع، والذي

بدا لمارسيل أنه بعيد جدًّا عنه آلاف الأميال! ضوء لا يستطيع أن يصل إليه أبدًا، وكأنه محكوم عليه أن يبقى ضمن الظّلام وحدوده فقط وللأبد!

«أيها المشاكس! لقد جعلتني أركض خلفك كالمجنونة ويجب علينا أن نجد طريق العودة في هذا الخطر! آه هذا ما ألقاه لقاء طيبة قلبي وغبائي للركض خلفك».

نبح ماتشا في وجهها ثم لعق خدها لتضحك وتبعده عنها.

«أيها المقرف، تحاول الاعتذار؟ هيَّا لنعد معًا.. ستبقى محتجزًا بين ذراعي أفهمت؟ لا ركض!»

تنهدت بتعب ثم التفتت عند سماعها صوت شاحنات الإطفاء لتعقد حاجبيها باستغراب وتهمس: «الطرق ضيقة هنا فكيف سيدخلون؟»

لكنها لم تعلم أن لديهم خطة، ألا وهي إيقاف شاحنات الإطفاء حول المنطقة المتضررة وتطويقها ثم توجيه خراطيم المياه ذات الدفع القوي عاليًا، بينما بعض رجالها يتولون الحريق من الداخل بمساعدة السكان.

رفعت رأسها بتعجب عندما أمطرت السماء فوقها وفهمت الأمر، كما سرحت فيها وشعرت بسعادة بسبب قطرات المياه التي تغسل وجهها من الرماد، ثم ابتسمت عندما نبح ماتشا وأخذ يلهث فاتحًا فاه للأعلى.

مسحت على رأسه: «هل أنت عطشان؟ حسنًا.. لنعدك لعائلتك أولًا».

تلفتت في الأرجاء بسرعة قبل أن تمشي بخطوات بطيئة متجاوزة الزقاق الذي يقف عنده مارسيل، ولم تلاحظه حتى نطق باسمها بصوتٍ هامس.

ولم يكن ذلك النداء يقول: «لقد وجدتك» بل كان يقول شيئًا آخر! كان طريقة ليقول: «أنا هنا في الظلام، فاعثري عليّ».

وكان ينظر للأرض عندما نادى باسمها، بينما تجمدت هي مكانها لوهلة قبل أن تتراجع بضع خطواتٍ للخلف وتراه..!

لم يكن يظن أنها ستسمعه لكنها فعلت، ووقفت تحدق به بعينين متسعتين بينما هو ينظر إليها بصمت فقط.. ينتظرها أن تغزو ظلامه وتضيئه!

قفز ماتشا من بين ذراعيها اللتين أراحتهما قبل أن تسرع وتلفهما حول مارسيل في عناق قوي وهي تكاد لا تصدّق أنّه أتى من أجلها، كما سمحت لنفسها بالانجراف خلف مشاعرها ورغباتها أكثر حتى أبعدها عنه رغم أنه وفي أعماقه لم يرغب بذلك!

«لنذهب»..

أومأت بابتسامة صغيرة متوترة ثم حملت ماتشا معها بينما مارسيل يتباطأ بخطواته حتى تصبح بجانبه لا خلفه.

مشت معه جنبًا إلى جنب تحت المطر المُفتعل، وكانت تنتابها مشاعر غريبة ومتفجرة! تشعر بالسعادة، الخجل والقلق! كل شيء داخلها مضطرب ورأسًا على عقب لمجرد النظر إليه فقط.

ثم خطر ببالها شيء فقالت بخوف: «هل رآك أحدهم؟ يجدر بك الاختباء والعودة للمبنى!»

«لقد رآني أندرياس، ورجاله يبحثون عني».

«سأخبره الحقيقة إذًا! أنني من طلب منك الخروج..» سألت بتردد: «أعني لهذا السبب أنت هنا صحيح؟ من أجلي».

«صحيح».

«مـ... ماذا؟ حقًّا؟»

«أردت أن أشهد طريقة موتك ولكن عجبًا أنت لا تزالين حية يا روبي.. ما تزال لديك مفاجآت بالفعل».

لم تستطع روبي المضطربة والمتفاجئة أن تحدد ما إن كان مارسيل يتلاعب بها مجددًا أم أن هذه هي الحقيقة بالفعل بسبب مقاطعة أندرياس ورجاله الذين صوبوا أسلحتهم نحوهما!

هتف بصرامة: «005! إيّاك أن تتحرّك»

امتثل مارسيل للأمر بهدوء بينما وقفت روبي أمامه تعترض طريق الأسلحة!

«انتظر يا أندرياس، دعني أشرح لك الأمر!»

«وأنتِ أيضًا لا تُحدثي أي حركة!»

هزت رأسها قائلةً: «حسنًا سأفعل ذلك! ولكن يجب أن تعلم أنني من طلب منه الخروج ليبحث عني إن لم أعد مبكرًا! ولقد تأخرتُ بسبب الجرو ماتشا فهو مِلك لأولئك الأطفال، لذا سوف أتحمل كل اللوم! اتفقنا؟»

حلّ أندرياس الخيوط المتشابكة داخل رأسه وأدرك هدف مارسيل بعد كلماتها، ثمّ أمر رجاله: «أعيدوهما».

هتفت بقلق: «لا داعي لقتل أي أحد فلقد خرج بسببي!»

«اخرسي وتحركي!»

التفت أندرياس وتقدمهم جميعًا، ورافق البقية روبي التي تسير ممسكةً بذراع مارسيل وحولهما أسلحة مصوبة ومستعدة للإطلاق!

كانت تنظر لظهر أندرياس وللرجال حولها بقلق بينما مارسيل يحدق بالفراغ أمامه ويفكر بيدها التي تتشبث بذراعه.

«لماذا تدافع عني؟ لماذا تفعل ذلك وهي تعلم حقيقتي؟ لماذا تفعل ذلك بعد الذي قلته لها لتوّي؟ بعد كل الذي قلته من قبل.. ألم أكن واضحًا؟ أم أنها لا ترغب بتصديقي عمدًا؟ لماذا؟ لماذا هي.. تجعلني لا أرغب بابتعادها عني؟»~

وكان أندرياس المستاء يمشي إلى المبنى الأوّل حيث يقيدون الرهائن في الساحة، ورأت روبي جثثًا مغطاة على جانب الطريق والسكان متجمهرين، يتفقدون بعضهم بعضًا، يبكون ويواسون أولئك الذين فقدوا أفرادًا منهم.

وكل نواح وصرخة متألمة تجعل أندرياس يغضب أكثر فأكثر ويصر على أسنانه بقوة متمالكًا نفسه، بينما روبي تحاول منع دموعها من الهرب ولكن دون جدوى...

نبح ماتشا باتجاه الأطفال الذين ركضوا متجاوزين الرجال وأخذوه منها قبل أن يشكروها ويبتعدوا عنهما متجاوزين أندرياس الذي توقف قليلًا عندما نظر أحدهم لمارسيل واستعمل لغة الإشارة ليقول:

«شكرًا على مساعدتنا».

لم تفهم روبي ما قاله، ولم يجب مارسيل أو يعطِ ردة فعل للصبي الذي أسرع بالعودة لعائلته، واستمرا بالمشي حتى وصلا للمبنى أخيرًا وحينها فرقوهما بعضهما عن بعض وأجلسوهما جانبًا على الأرض.

ثمّ اقترب رجالٌ من أندرياس وقال أحدهم: «لقد أفقدني 005 وعيي ولكني استيقظت لاحقًا للحاق به ورأيته.. لقد قتل أربعة من رجال كاستيلا الذين اقتربوا منه ظنًّا منهم أنّه واحد منّا».

وقال الآخر: «لقد أردت الإمساك به. وجّه سلاحه لي أولًا، لكنه لم

يقتلني عندما رأى وجهي وبدا لي أنه عرف من أنا، ثم قال لي إنه يريد البحث عن المرأة والعودة فقط».

أندرياس: «قتل أربعة؟»

«نعم، بسكين المطبخ! لقد كان الأمر مرعبًا يا أندرياس ولكنه كان عرضًا يشفي الغليل أيضًا. هل نرسل جثثهم؟»

زفر أندرياس بغضب: «سننتظر أوامر الدون فيرناندو. اذهبوا الآن، تخلصوا من جثث رجال كاستيلا وتعاملوا مع الشرطة كما ينبغي. لا أريد أي إزعاج مفهوم؟»

أومأ الرجال وانطلقوا، نظر أندرياس ببرود إلى مارسيل وإلى رجال كاستيلا الرهائن والذين لا يبدون إلا الملامح الساخرة والمتكبرة، لا يهابون شيئًا!

ثم مال أحدهم لرفيقه مشيرًا لمارسيل وهمس له بشيء فرمقه بنظرة يظن أنه يرعبه بها هكذا.

«هل هذا الوغد معكم؟ ستأتي ملكتنا كاستيلا وتأخذ رأسه وأربعة أطرافٍ منه جزاءً لما اقترفته يداه!»

عقدت روبي حاجبيها بقلق، تتساءل ما الذي يقوله الرجل ولماذا ينظر لمارسيل بهذه الطريقة، ثمّ لفَّ أندرياس رباط عنق أحدهم حول قبضته ومشى أمام الرهائن حتى توقف أمامه.

«تقصد هذا الجالس هنا؟ لا إنه ليس معنا».

وجَّه أندرياس لكمة قوية طرحت مارسيل أرضًا بينما فزعت روبي، وحاولت التحرك لتوقفه عن ضربه وركله.

صاحت بصوتٍ مهتزّ: «ما الذي تفعله؟ توقف!»

«حذّرتك من الخروج أيّها المنحط اللعين!»

بصق مارسيل الدماء قبل أن يتابع النّظر لأندرياس الذي اشتاط غضبه لهذا البرود، وكأنّه يغويه ليضربه أكثر!

«توقف أرجوك!»

التقط أندرياس أنفاسه ومسح يديه ثمّ أمر ثلاثة من المقرّبين لديه بالخروج وتفقّد الأوضاع، ليمتثلوا للأوامر على الفور، وسرعان ما هدأت الأمور في المنطقة، ولم تقم الشرطة بفعل أي شيء أو بالأحرى لم ترد إقحام نفسها بين الطرفين، وتولى الرّجال مواساة أهالي الضحايا بكلماتٍ يعلمون جيدًا أنها لن تقدِّم شيئًا، لكنها قد تلامس مشاعرهم وقلوبهم على الأقل، كما تفقدوا المباني والمنازل المتضررة ووعدوهم بتقديم الدعم المادي من أجل الإصلاحات وأنّهم سيدفعون تكاليف العلاجات في المستشفى أيضًا.

وخلال تلك الأثناء كان أندرياس يشاهد رجاله ينهالون بالضرب على الرهائن بكل قسوة حتى سالت الدماء من قبضاتهم كما سالت من أجساد رهائنهم، واستمروا بفعل ذلك وروبي تراقب بقلبٍ مرعوب.

«حسنًا هذا يكفي كأوّل جولة».

سعل أحدهم ثمّ قهقه بصوت عالٍ وقال: «والتي لم تشارك بها».

علّق رفيقه: «يعرف أنّ لكماته ضعيفة مثل امرأة! خائفٌ أن نكشفه!»

صفع أحد رجال آل غارسيا وجه الرجل وقال بحدّة: «اخرس وإلّا قطعت لسانك».

لكنّ الرهائن لم يخرسوا، بل استمروا بالإغاظة واللّعب بأعصابهم.. وأخيرًا قهرهم! وخاصةً عندما هتف أحدهم بنبرة مستهزئة:

«أندرييييه أين أنننننتتت».

رفع أندرياس عينيه الحادّتين وتجمهر رجاله، ليس ليضربوا رجل كاستيلا المستهزئ بل ليمنعوا أندرياس الغاضب من الوصول إليه!

«اهدأ اهدأ!»

زمجر بغضب: «اتركوني!»

دفعهم عنه وسحب مسدسه ثم أسرع إلى ذلك الرجل ووضع السلاح في فمه لتحبس روبي أنفاسها وتترقب الآتي.

«قلها مجددًا! انطق باسم أخي وابني مجددًا وسأفجر رأسك! هيَّا أيها اللعين».

سحب صمام الأمان وهدده مجددًا ليرتجف الرجل ويصرخ بدوره أيضًا! وكان يوشك على إطلاق النار وهو يتذكر شقيقه وابنه لولا صوتٌ جهوري وصارم أوقفه:

«أندرياس!»

وهذا كان الرجل المنتظر.. الدُّون فيرناندو ميندیز.

صعد الأخوان إيليا وديمتري ڤولكوف إلى طائرتهما الخاصّة في مطار الجنرال هربرتو جارا الدولي بولاية فيراكروز واسترخيا على مقعديهما ريثما تقلع الطائرة.

أراح ديمتري ربطة عنقه قائلًا: «من حسن الحظّ أننا تمكنا من الخروج قبل أن نعلق وسط تلك الفوضى».

ارتشف إيليا من مشروبه ثمّ قال: «أردت البقاء حتى نجد 005 ولكن سحقًا إنّهم يخبئونه جيدًا».

«يجب أن ننسى أمره، لو علم والدنا أننا أتينا إلى هنا فستكون مشكلة.. هذا إن لم يصله الخبر مسبقًا».

«هدفنا نبيل، نريد 005».

«وليس مشكلتنا بعد الآن، سيتولى مايورانو أمره» زفر بازدارء: «الطليان.. أسياد العالم».

«ليس لوقتٍ طويل... سوف نصبح الأقوى».

«وسيكون ذلك على يدك يا أخي...»

أغمض إيليا عينيه بعد إيماءة ثمّ فرقع أصابعه فجأة قائلًا: «تذكّرت من تشبه!»

«أتقصد المرأة التي اصطدمت بك اليوم؟»

«أجل، أخبرتك أنّها تشبه أحدًا والآن تذكرت من! إنّها تشبه قليلاً الممثلة المسرحية التي يضع والدنا ملصقها في غرفته الأثرية... يِلينا أورلوف».

«هممممم».

«الآن يمكنني النوم بسلام»

هزّ ديميتري رأسه: «لا أعلم متى ستنقرض عادة التشبيه هذه التي تملكها».

«لا أظنها عادة بقدر ما هي موهبة.. والآن دعني أنمْ قليلًا».

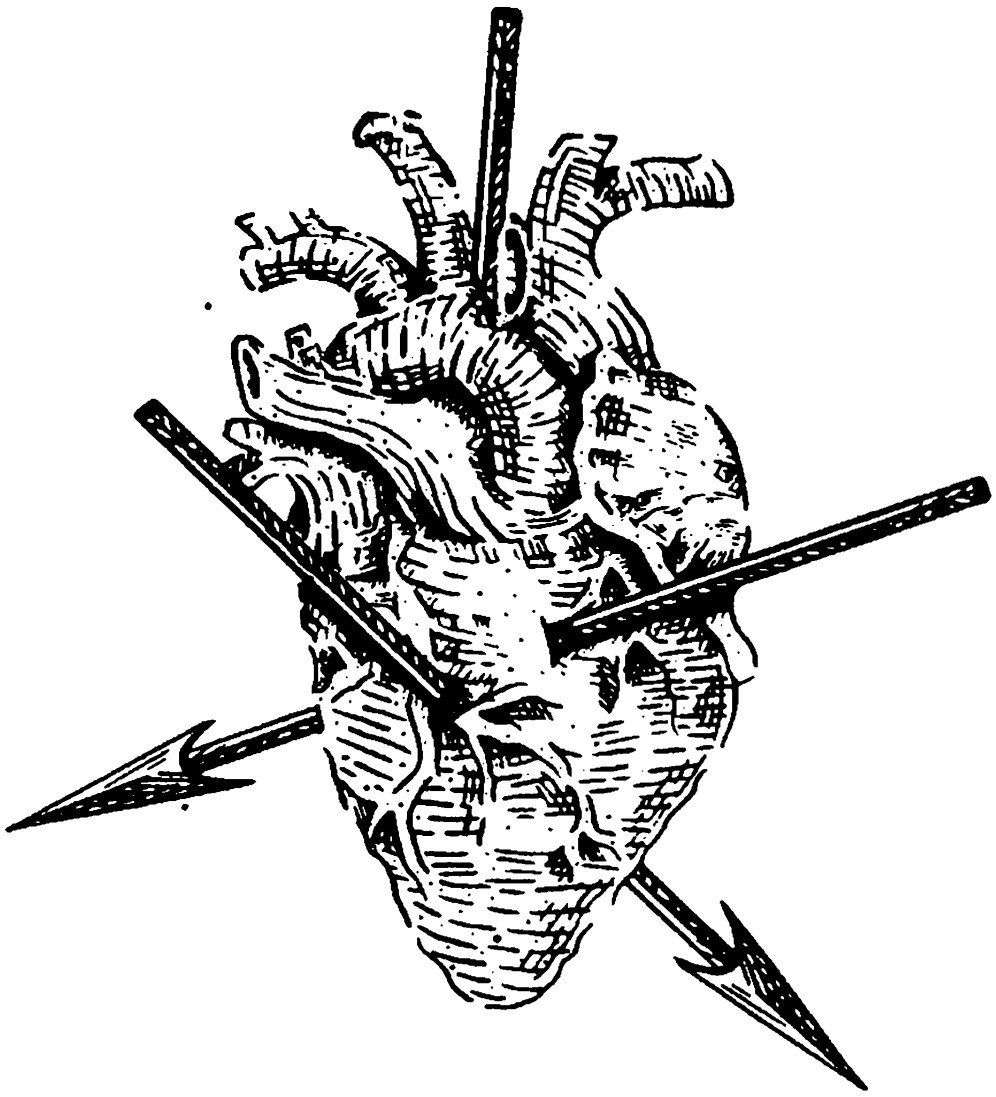

3 : ستوكهولم

«أندرياس...!»

صرخة واحدة من الدّون فيرناندو هزت أندرياس الذي كان الماضي يعصر قلبه ويمزق روحه إلى أشلاء، وجعلته يسحب السلاح ببطء في صمت وحزن دفين.

كان التّغير المفاجئ في الجوّ الذي سبّبه الدّون بدخوله مخيفًا، فالكلّ استقاموا في وقفتهم احترامًا له، وبان التّوتر على وجوه الرهائن مع ترقّبٍ لخاتمةٍ مرعبة، وكانت روبي تحدق بالدّون الذي كان طويل القامة، عريض المنكبين، ذا ملامح حادّة، شعر رمادي وخصلات سوداء بسيطة بين الشّيب، عيناه خضراوان داكنتان ونظراته كفيلة أن تفلق الصّخر لحدّتها!

اقترب منه أندرياس وأومأ له دون أن يرفع عينيه، فجذب الدّون رأسه وربّت على ظهره بخشونة رجولية، ثمّ لمس عنقه وحدّثه: «كم...؟»

«عشرون ضحية ولدينا مصابون كثر».

«وهل هؤلاء هم الرّهائن؟ رجال كاستيلا».

«أجل. هذا من عاش منهم والبقية قد هربوا».

«أنهِ عملك إذًا».

أومأ أندرياس فقط، ورأته روبي يتّجه إلى الجرس ويهزّ الحبل الذي يتدلى منه ليقرعه وعيناه تراقبان السّاعة على الجدار ليحسب الدقائق!

خمس دقائق.. يُقرَع فيها الجرس وكأنّه إنذار من اقتراب شيءٍ ما، ورأت روبي النساء ومنهنّ زوجات أعضاء المافيا يسحبن أطفالهن، يحكمن إغلاق الأبواب والنّوافذ مع تغطيتها بالستائر، وهذا جعلها تبتلع ريقها بصعوبة وتحدّق بأندرياس والجميع بترقّب.

توقّف رنين الجرس أخيرًا، ولكنّها لا تزال تسمعه في أذنيها، ثمّ اصطفّ الرّجال أمام الرهائن وبينهم أندرياس، شاهرين أسلحتهم، ينتظرون الإذن.

وحينها قال فيرناندو دون أن تتغيّر ملامحه: «أعدموهم!».

انطلقت الرصاصات من الأسلحة مخترقةً أجساد الرهائن الذين خرّوا على الأرض غارقين وسط دمائهم، وبات قلب روبي المصعوقة ينبض بقوة وسرعة وهي تشاهد كلّ ذلك، ثمّ حملوها عن الأرض بأمرٍ من أندرياس وأخذوها بعيدًا كما سحبوا مارسيل أيضًا، وكانت تحاول أن تهرب منهم وهي تنظر إليه بقلق وتناديه، ولكنّه لم يكن يجيبها أو ينظر باتجاهها أبدًا!

حبسوها في غرفة لتستمر بضرب الباب وتنادي أندرياس طالبةً التحدث معه حتى تورمت يداها وجلست على الأرض وهي متعبة وتكاد تجنّ لقلقها على مارسيل ومصيره.. لن تسامح نفسها لو حدث له مكروه بسببها.

صعد أندرياس بعد أن هدأت الأوضاع إلى السّطح، حيث راقب الأفق للحظات قبل أن يجلس بجانب علب الدِّهان ويفتح واحدة يحفظها جيدًا ويخبئ فيها السجائر التي أقلع عنها منذ ولادة ابنه.

التقط سيجارة واحدة وأشعلها، ثمّ دخنها مراقبًا الدخان الكثيف وهو يتصاعد للأعلى.

«لا تغضب عليَّ يا أخي.. إنها سيجارة واحدة فقط وأحتاجها بشدّة».

أغمض عينيه وأنهى تدخين سيجارته أخيرًا، ثم هبط للأسفل، إلى حيث تُحتجز روبي والتي نهضت على قدميها عندما دخل وعلى وجهها ملامح الاستياء.

«أين مارسيل؟ أجبني! هل آذيتموه؟ هل هو بخير؟»

«لقد خالف أوامري، وأنتِ كذلك يا سنيوريتا ويجب أن تدفعا ثمن ذلك».

«أخبرتك أنني مَن أجبره على الخروج! سأتحمل الثمن عوضًا عنه، سأفعل ما تشاء لذا لا تقترب منه وتقحمه في الأمر!»

درسها بعينيه قبل أن يقول بتهكّم لم يعجبها: «ظننتك قلتِ إنّك لست معجبة به.. ولا أظنّ أنّ المصلحة وحدها ستدفعك لكلّ هذه الدراما يا سنيوريتا».

نظرت إليه مليًّا، تخوض معركة مع مشاعرها حتى انتصرت بها واعترفت أخيرًا: «لست معجبة به.. بل أحبّه».

ارتفع حاجباه قليلًا: «آي آي يا سنيوريتا.. لديكِ ذوق غريب في الرجال. كيف تقعين في حبّ شخصٍ مثله؟ ذي هدف واحد وواضح».

«لا شأن لك».

«صحيح.. ولكني أشعر بالشفقة عليكِ، تثقين به ثقة عمياء وهو لا يلقي لكِ بالًا ولا يهتمّ».

«بل يهتم».

«حقًّا؟ لماذا يبقى ساكنًا في سجنه إذًا؟ لماذا لا يأتي وينقذك أو على الأقل يسأل عنك؟ اصرخي الآن واطلبي نجدته، هل تظنين أنه سيأتي لنجدتك؟»

ازدردت وشعرت بضغط على قلبها، لكنّها أجابت: «سيفعل ولكن بطريقته».

«صحيح.. سوف يأتي مارسيل! سيأتي ويقول إنه جاء لرؤيتي ميتة أو أي شيء عكس ما أتوقعه منه ولكنه سيأتي في النهاية! مثلما فعل في حمَّام المحطة عندما هاجمتني المرأة، مثلما فعل في الجزيرة ومثلما بحث عني هنا.. هذا ما أريد تصديقه!»~

«لم أفهم».

«لا يجب أن تفهم هذا، لكن افهم أنه يتغير، وهو يهتم ويساعد أيضًا!»

هز أندرياس رأسه ساخرًا: «حسنًا سأصدقك.. ولكن يجب أن تعلمي أنّ القرار ليس بيدي، بل بيد الدّون فهيًّا بنا».

سألت بتوتّر: «هل سنقابله الآن؟»

«أجل».

سبقها للخارج، لتفاجأ باختفاء الرهائن ونظافة الفناء من دمائهم وكأنّ أيّ شيءٍ لم يكن، وكان هناك رجالٌ كثر، جميعم مسلَّحون، وبعضهم يعاينها بنظراتٍ غريبة قبل أن تقع أعينهم على مارسيل الذي أحضروه أيضًا فأسرعت إليه تعانقه عناقًا سريعًا وتتفقده.

«هل أنت بخير؟ هل فعلوا شيئًا لك؟»

أجاب دون النظر إليها: «لا».

أومأت بقلبٍ مرتاح: «جيد».

أشار أندرياس للرجال أن يحضروهما، وتقدمهم حتى وصلوا لغرفة المكتب الذي يجلس خلفه الدّون فيرناندو، وكان لا يوجد سواهم في الغرفة بالإضافة إلى اثنين من المقرّبين اللذين يقفان بعيدًا بضع خطوات بينما أندرياس يجلس على مقربةٍ من الدّون، صاحب الهيبة!

بدأ التوتر يغزو روبي، فاقتربت من مارسيل أكثر. أجلسوهما على الكرسيين الوحيدين المقابلين له، وكأنهما في جلسة محاكمة!

نظرت للدون فيرناندو مجددًا وسرت رجفة سريعة في جسدها عندما نظر إليها بعينيه الحادتين، فشبّكت يديها لتسيطر على ذلك.

«لماذا ترتجفين؟»

احتبست أنفاسها عندما سمعت نبرة صوته الخشنة، وزادت رجفة قلبها أكثر!

نظرت إليه وقالت لنفسها: «يجب أن أجيب! يجب أن أجيب! لو صمتُّ فسيظن أنني أتجاهله وسيحكم عليَّ بالإعدام! ولكن ماذا أقول؟ ماذا أقول؟ الوقت ينفد مني!»~

قالت بصوت مبحوح وهي متوترة: «لا أرتجف بسببك فأنت لست مخيفًا— آه أقصد أنت كذلك! ولكن ليس بشكلٍ سلبي بل...» شتمت بهمس قبل أن ترتّب كلماتها وتقول: «أنا آسفة، وأنا عطشى فقط؛ لذا هل يمكنني الحصول على الماء؟»

اتسعت أعين الرجال حولها وعض أندرياس شفته مشيحًا بوجهه جانبًا قبل أن يبتلع ضحكته الساخرة ويأمر أحدهم بإحضار زجاجة ماء لها، وأما مارسيل فلم يبدِ أي ردة فعل.

أخذت زجاجة الماء ونظرت إلى فيرناندو بخوف، ثمّ ارتشفت رشفة سريعة قبل أن تعدل جلستها أخيرًا.

«005 .. ها نحن ذان نلتقي مجددًا» أضاف عندما لم يقل مارسيل شيئًا: «أجبني، لماذا كل هذه الفوضى؟ منظمتك والآن حكومة العالم».

«لدي أسبابي».

أندرياس بازدراء: «تحدَّثْ بأدب وأجب عندما يسألك الدون يا هذا!»

أشار فيرناندو له قبل أن يرمق مارسيل بنظراته ويسأل: «ما الذي تريده منّي؟ لقد ذكر فرانسيسكو أنّك ترغب أن أضمَّك تحت جناحي ولديك عرض متعلق بجاريد إيڤان».

لاحظت روبي الطريقة التي لفظ بها اسم جاريد وابتلعت ريقها بتوتر أكثر، تنتظر ما سيقوله مارسيل.

«هذا صحيح، لدي عرض قد يهمك».

«أنت تدرك أنّه مهما كان عرضك فلن يتغير الحكم أليس كذلك؟ لقد خالفت القانون المطلق».

«أعي ما فعلت، ذلك القانون قابل للتغيير وهذا ما أريدك أن تفعله.. ستتحدث إليهم وتقنعهم بإسقاط الحكم، لأنّ عرضي يستحق ذلك».

عاينه الدّون بنظراته المرعبة قبل أن يقول: «هل تهددني يا 005؟»

أندرياس ببرود: «اسمح لي أن أفجّر رصاصة في رأسه».

«قد أسمح لك».

شهقت روبي بخفّة عندما استلّ أندرياس مسدسه ونظرت إلى مارسيل الذي ارتاح في جلسته أكثر وقال محدقًا بالدون، غير مكترثٍ لأندرياس على الإطلاق:

«افعلوا ذلك ولن تعرف مكان ابنك بيدرو أبدًا».

أجفل أندرياس ووجَّه سلاحه نحوه بعد أن تغيرت ملامح الدّون فيرناندو للغضب، وتأهّب بقية الرجال فورًا!

رمقه بحدّة قائلًا: «ابني مات مع زوجتي... وجاريد قتلهما!»

«لا.. هو فردٌ في المنظمة ويظنّ الجميع أنه مات، لكنه حيٌّ وأنا الوحيد الذي يعرف مكانه».

«إذًا الاسم الحقيقي لنيكولو هو.. بيدرو؟»~ روبي

«وكيف أعلم أنَّك تقول الحقيقة؟»

«أجرِ اتصالًا هاتفيًّا بفرع بنك كلاريز في العاصمة مكسيكو الآن، من المؤكد أنك تعرف رجلًا أو اثنين هناك. سأثبت لك ما تريد».

التقط الدون نفسًا وهو ينظر له بحدة، ثم نظر لأندرياس الذي أراح سلاحه وأخرج هاتفه باحثًا عن اسم مدير بنك كلاريز شخصيًّا ليتصل به.

«هو معي على الخط».

نظر فيرناندو لمارسيل الذي قال: «اطلب منه أن يفتح الخزنة رقم 045 ورقمها السري هو 8012241420171814 13»

امتثل المدير لأوامر أندرياس التي تلقاها، ذهب وفتح الخزنة المقصودة ليجد صندوقًا أسود اللون.

«أخبره أن يفتحه ويصوره لك».

أمره بتصوير ما يوجد داخل الصندوق، ثم انتظر قليلًا حتى أرسل الصورة وأراها للدون الذي لم يصدق ما رآه لكنه حافظ على تعابير وجهه الصارمة..

«سوار صغير مصنوع من أحجار براكين في المكسيك خصيصًا لابنك،

وخلف عدد من الأحجار هناك نقش لحروف اسمه.. والسوار مطابقٌ للذي تلبسه الآن».

عمت لحظة صمت، ونظرت روبي إلى السوار على معصم الدون للحظات قبل أن تشهق بغصّة عندما سحب مسدّسه ووجَّهه نحو مارسيل الذي لم يرمش حتى!

«أرجوك لا...»

هتف الدون وأمرها أن تخرس فترقرقت عيناها بالدموع وخرست، ثمّ نظر لمارسيل مجددًا وبنظرات أشد إرعابًا من سابقتها:

«كيف علمت بكل ذلك؟ هل هذه إحدى الألاعيب التي علَّمك إياها اللعين جاريد!؟»

«لا.. هذا ما أخبرني به بيدرو في المقر الذي نشأنا فيه معًا. كان جاريد قد أخبره بالحقيقة وأعطاه السوار».

«ولماذا لم يقتله؟ لماذا أخذ طفلي وربَّاه هناك!؟»

«لا عِلمَ لي».

فيرناندو بأعصاب مشدودة: «هل تعلم أين هو جاريد؟»

«لا أعلم بعد... هذا عرضي أيّها الدّون».

سحب فيرناندو صمام الأمان بوجه جادّ، فارتعدت روبي القلقة ولمست ذراع مارسيل.

«ما رأيك بعرضي هذا إذًا؟ سأعذبك حتى ينقطع صوتك وتنطق بموقع ابني فقط.. كم ستتحمل؟»

«افعل ذلك وصدقني لن تحصل على أي شيءٍ منِّي».

«إذًا.. ماذا عنها؟»

وجَّه سلاحه لروبي التي شدت على ذراع مارسيل بخوف وتوتر وهي تنظر لفوهة المسدس الذي يُوجَّه نحوها.

سحب مارسيل ذراعه قائلًا: «لا أكترث لما ستفعله بها فهي لا تهمني البتة، وأي تهديد بها لن يفيد ولن يجعلني أتحدث».

((لا تهمني البتّة))

جملة صفعت روبي صفعة قوية، جعلت قلبها ينقبض كما لو كانت يد تحكم قبضتها عليه وتضيق الخناق لدرجة تؤلم كل خلية في جسدها!

كانت تنظر إليه، غير مصدقة للذي يقوله، ولم يكن ينظر إليها أبدًا وكأنها غير موجودة، كما أن ملامحه ونبرة صوته وكل شيء فيه تؤكد ما يقوله، لكنّها رفضت أن تصدّق وظنّت أنّه يتلاعب بها مجددًا ولديه هدف.

«لن تهتم إذا قتلتها أو عذبتها أمامك حتى الموت؟»

«لا».

«لماذا أحضرتها معك إذًا؟ أبقيتها حية كَلَّ هذا الوقت».

«أردت استخراج بعض المعلومات منها وحصلت عليها لذا لم أعد بحاجة إليها وليس لي شأن بما تريده منك وما إن كان لديها عرض لك أم لا، فعرضي لك يخصني وحدي».

شبّكت روبي يديها مجددًا بهدوء وخفضت رأسها في ضياع، حزن وصدمة.. والأسوأ من ذلك هو وجود أندرياس الذي لا تقوى على النظر إليه بعد الكلمات التي باحت بها أمامه.

تستطيع أن تشعر أنه ينظر إليها وهذا يجعلها ترغب بالصراخ والبكاء ثم طعن نفسها والموت فقط، لكنها مستمرة بكبح كل ذلك.

سحب فيرناندو سلاحه ونظر إلى روبي التي لا تزال تحني رأسها: «اسمك روبي سميث؟»

اكتفت بهز رأسها فقط فقال أندرياس: «مما فهمته أيها الدون أن منظمة باترو تلاحقها وهي ترغب في مساعدتنا كي يبتعدوا عنها».

«وعلام سأحصل في المقابل يا روبي سميث؟ ماذا لديكِ لتقدميه لي؟»

لم تجبه ولم ترفع رأسها أيضًا، فتابع كلامه وهو يدرسها:

«هل أنت مستعدة لتموتي وتقتلي من أجلنا؟»

عمت لحظة صمت أخرى، وكانت لحظة قاسية ومرَّة على روبي المسكينة التي انهمرت دموعها، كما شعر أندرياس بقليلٍ من التوتر بسبب ترقبه لإجابتها.

رمشت بعينيها لتجفف الدموع ثم رفعت رأسها ونظرت إلى الدون للحظات قبل أن تقول بصوت هادئ مبحوح: «لا.. أنا آسفة ولكن لا يمكنني فعل ذلك.»

«ماذا عن مشاركة المعلومات التي من أجلها أرادك 005؟ لا بُدَّ أنها مهمة ليبقيك على قيد الحياة حتى الآن. قد تكون قيّمة وتجعلني أفكر بأمرك».

حاربت الغصّة في صوتها وهي تقول: «ليس لدي شيءٌ لأقدمه لك يا سيد».

صرَّ مارسيل على أسنانه واسترق نظرة لها بطرف عينه وكأنه توقع إجابة أخرى منها، لكنها خيَّبت آماله بل وجعلته منزعجًا، لذا قرّر أن يوجِّهها ويدفعها للحافّة!

«إنّها تعرف هوية بيتروفا الحقيقية».

وكانت هذه القنبلة الأخيرة التي ألقاها! جعلتهم ينظرون لها بتفاجؤ، فجَّرت وأنهت كل شيءٍ داخل روبي التي كانت تتشبّث بآخر حبل أمل، وبآخر قطعة من قلبها المحطّم.

ذرفت دمعة أخيرة قبل أن يتخدّر جسدها ويستسلم، ثمّ نظرت للدّون الذي سألها بوجه جادّ: «هل هذا صحيح؟ هل تعلمين مَن هو بيتروڤا؟»

«لا.. غير صحيح. لقد كانت كذبة حتّى يبقيني 005 حيّة. لا أعلم من هو بيتروڤا هذا ولم أقابله من قبل» نظرت إلى مارسيل ببرود وأردفت: «كذبتُ عليك في تلك المعلومة».

تبادلا النظرات الصامتة قبل أن تلتفت للدّون وتتحدّث بصوتٍ منخفض خشية أن ترفعه فيهتزّ ويكشف مشاعرها الحقيقية.

«أتيت للمكسيك لأني أردت النجاة، ولكني لن أستطيع فعلَ ما تطلبه.. لا أستطيع الموت من أجل أحدٍ عابرٍ ولا أستطيع أن أقتل أحدًا».

«طرقتِ باب عالمنا، فماذا توقعتِ؟»

«أيهما أكثر أهمية، قتل الناس أم إنقاذهم؟

هذا سؤال سألني إياه أحدهم ذات مرة، وسألته لنفسي عدة مرات، وكانت إجابتي دائمًا إنقاذهم» صمتت متذكرة نيل «توقعت أن أجد أحدًا يوافقني ذلك هنا.. ولكن هذا ليس مكاني».

حدق بها أندرياس قليلًا، وابتسمت عيناه بدفء للحظة وهو يفكر بكلامها.

«حسنًا.. ماذا تتوقعين أن يكون مصيرك الآن؟»

صرّت على أسنانها للحظة ثمَّ استجمعت شجاعتها وقالت: «لقد رأيتُ وسمعت الكثير، وقتلي على الأرجح هو الخيار الأمثل، ولكن إن

اخترتَ أن تكون كريمًا معي فأنا لا أريد أي شيء سوى تذكرة طيران إلى لندن».

عاينها بنظراته ثمّ سأل: «ولماذا سأختار أن أكون كريمًا؟»

صمتت مجددًا، ونظر إليها أندرياس قليلًا قبل أن يقرر التحدث وإنقاذها:

«مع احترامي أيها الدّون، لقد أنقذَتْ عائلة من النيران وأنقذت جروهم كذلك، لذا تذكرة طيران قد تكون مكافأة جيدة لما فعلته. لا أرى أنها تشكّل خطرًا علينا، كما أنها قد تموت عندما تصل إلى لندن على يد المنظمة».

نظرت إلى أندرياس، وقال فيرناندو بنبرة هادئة وهو لا يزال يحدق بها: «هل تظن ذلك؟»

«نعم يا سيدي، لكنّ القرار قرارك وسننفذ ما تريد».

«أنا أثق بأندرياس وبرأيه، لذا سأكون كريمًا معكِ يا روبي سميث.. يمكنكِ الانصراف الآن».

أومأت ببطء وشكرته، ثم نهضت بما تبقى لها من قوة والتفتت لتخرج من الباب دون النظر إلى مارسيل أو الرجال في الخارج الذين يراقبون مشيتها الغريبة؛ فقد كانت تمشي كما لو أنها ستقع على الأرض في أي لحظة وتنهار!

لكنها تحملت حتى وصلت للشقة التي ما أن أغلقت بابها حتى انهارت على الأرض تبكي بحرقة وتعض على ساعدها كي تكتم صرخاتها الباكية، ولم يكن الأمر مؤلمًا بقدر الألم الذي تشعر به في قلبها..

بعد أن انصرفت روبي، نظر الدون فيرناندو إلى مارسيل الذي شرد ذهنه للحظة قبل أن يعاود التركيز مجددًا.

«أنا مستعد لقبول عرضك، لكني أريدك أن تفعل شيئًا أولًا».

«تريدني أن أقتل كاستيلا بيرو، صحيح؟»

نظر أندرياس إليه بتعجب ثم إلى الدُّون الذي تابع: «تبدو ملمًّا بالذي بيننا».

«أجريت بعض الأبحاث. إنّها تترأس آل بيرو وحصلت على موالين كثر وخاصةً من أعدائكم الأزليين آل ريڤيرا، يشتركون معها في حقدهم عليك والاستفادة من المصالح المشتركة وأنت لا يعجبك ذلك، وإن ماتت فلن يتبقى سوى آل كورتيز ليحكموا المكسيك كلها دون أعداء على العلن.. ولكنَّ هناك ما يعيقكم من الهجوم عليها ألا وهو حفيدها والذي يكون ابن أندرياس أيضًا».

قبض أندرياس يديه ليسيطر على أعصابه، ثم تابع مارسيل: «هل تريدني أن أقتل كاستيلا وابنتها أيضًا؟»

همَّ بالاندفاع نحوه لكن الدّون حذّره فتوقف مكانه وأخذ يرمقه بحدّة:

«نحن الرّجال لا نقتل النساء».

«وأنا أقتل، ولهذا تطلب مني ذلك قبل أن تقبل عرضي، إضافةً إلى كونكَ لا تملك امرأة قادرة على الوصول إليها وقتلها ثمّ الخروج والعودة سالمة».

نقر الدّون بإبهامه على الطاولة، ثمّ قال: «أريدك أن تقتل كاستيلا فقط، أما ابنتها لورينا وابنها أندريه فلن تمسهما بسوء».

«لا أستطيع أن أضمن لك من سيموت، فكاستيلا على حدّ علمي في منطقة آمنة جدًّا، وأغلب السكان من آل بيرو لذا قد يكون هنالك الكثير من الدم».

اندفع أندرياس أخيرًا وجذبه من قميصه ثم صاح مهددًا: «هل ترغب بالموت؟»

لم تتغير ملامح مارسيل وهو ينظر لوجهه الغاضب، ثم قال الدون بصرامة: «أندرياس.. اتركه».

نزع يده والتفت قائلًا: «لا يمكننا أن نثق به! ابني وأمه سيكونان في خطر».

«أعلم ذلك». ثم نظر لمارسيل وتابع: «أوامري واضحة يا 005. سوف تقتل كاستيلا ولن تتعرض لورينا أو أندريه للأذى، ولا أيّ امرأة لم تشهر سلاحها نحوك!»

«ألا تلاحظ أنك تبالغ في المفاوضة أيها الدون؟ يمكنني الرفض والرحيل من هنا ولن تحصل على ابنك».

«لست واثقًا بعد ما إن كان ابني حيًّا وما إن كنت تكذب أم لا، لذا لن أعلّق نفسي بأطلال ماضٍ لست متيقنًا منه ولن أدعك تظن أنّ لك اليد العليا».

تابع وهو ينظر إليه بحدّة: «أنا رئيس آل كورتيز الذين يحكمون المكسيك لعقود آبًا عن جد.. لست شخصًا يمكن لنكرة مثلك التفاوض معه أو التكبر عليه وحتى تهديده!

أنت هنا يا 005 لأنني سمحتُ لك بذلك فقط، لذا لا تغتر بنفسك، فيمكنني أن أدوس عليك هنا والآن دون الاكتراث لعرضك».

أشار بعينيه إلى أندرياس الذي جذب مارسيل من رأسه وقربه من المكتب، ثم وضع الرجلان الآخران يديه على سطحه وثبّتاه.

«ستقتل كاستيلا وتحرص على أن يكونا بخير.. مفهوم؟»

«لدي شرط. لن أقبل مشاركة أحد معي ولن أشارك أحدًا مخططي، وستوفر لي ما أطلبه».

أشار فيرناندو إلى الرجال الذين تركوه ثم قال: «موافق، والآن اغرب عن وجهي».

نهض مارسيل بهدوء وغادر الغرفة وحينها التفت أندرياس القلق إلى الدون:

«ما الذي تخطط له؟ هل ستثق به وتضمه لنا حقًّا؟»

«فلينفّذ المهمة بنجاح أولًا وسترى» وضع يده على كتفه: «لا تقلق.. ستجتمع بابنك مجددًا لا محالة».

صعد مارسيل الدرج بخطوات سريعة واتجه للشقة وهو يشعر بنفور بسبب روبي وقرارها الغبي..

دخل ليجدها تلقي بشظايا كوب الماء الذي حطمته لحظة انهيار في سلة المهملات، ولم تلتفت له أبدًا على الرغم من أنها تعرف أنه هو من دخل للشقة.

قال باستنكار: «تذكرة طيران؟»

توقفت مكانها لوهلة قبل أن تنهي ما تفعله وتتجاهله تمامًا، ثمّ اتجهت لغرفتها فإذا به يعترض طريقها لتتجاوزه دون كلمة، وحينها أمسك معصمها بقوة وأجبرها أن تلتفت له مجددًا.

قال بنظرات حادّة: «أجيبي عندما أسألك!»

نظرت لعينيه أخيرًا، كانت ملامحها ساكنة وعيناها منتفختين من شدة البكاء.

سحبت معصمها ثمّ سألت: «ما الذي تريده؟»

«تبريرًا لقرارك الغبي.. ألا تعلمين أن المنظمة سوف تقتلك حالما تصلين إلى هناك؟ ما الذي ستفعلينه؟»

«ليس من شأنك».

«كان بإمكانكِ أن تعطيه المعلومة التي لديك. كانوا سيوفرون لك الحماية وكنتِ ستعيشين حياة طبيعية وآمنة كما كنتِ تريدين! لماذا تحتّم عليكِ تدمير كلّ شيء بعد كلّ الذي مررتِ به؟!»

صرَّت على أسنانها قبل أن تقول: «كيف تجرؤ أن تأتي وتحاسبني على قراري بعد الذي فعلته؟ بعد أن قلت إنني لا أهمّك وأخبرتهم عن بيتروفا! كيف أمكنك فعل ذلك بعد كل الذي مررنا به معًا؟ ألم يعنِ لك ما حدث بيننا أيّ شيء؟!»

دمعت عيناها رغمًا عنها، بينما تقدّم مارسيل خطوة أخرى قائلًا: «كنّا في رحلة للنجاة، وكلّ ما قد حدث بيننا لم يكن شيئًا بالنسبة لي وليست مشكلتي أنّك عاطفية جدًّا ورأيتِ العكس!

أخبرتك من قبل وعدة مرات، حذرتك وقلت لك من أكون، فلماذا تبكين الآن وكأنّك متفاجئة ولم تتوقعي ما حدث!؟»

أجابت بصوتٍ هامس ومهتزّ: «لأني ستوكهولم...»

أجفل مارسيل وهو متفاجئ، لم يكن يتوقّع هذه الإجابة أبدًا ولا الشعور الغريب الذي صاحبها...

«أنا أحبّك.. ولم أكن أتخيل أنّ هذا سيحدث، وأعلم أنّه أمر غير منطقي! جنون! سمه ما تشاء ولكني قبِلته، وكنت أرغب ومستعدة للوقوع في حبك أكثر وأكثر دون الاكتراث لأيّ شيء آخر..

أردت أن أغيرك بحبي لك، وأن أجعلك ترى أنك لست أداة قتل، وأن لديك قلبًا وإرادة حرة!»

حدّق بها للحظات ثمّ قال بصوتٍ هامس: «أنتِ مجنونة بشكلٍ رسمي يا روبي.. لستِ واقعة في حبّي، بل في حبّ مارسيل موظّف البنك الذي تظنّين أنّه طيب القلب ويكترث، مارسيل الذي يتحدثّ إليك، يمزح ويضحك معك! هذا الشخص لا وجود له سوى في رأسك» أردف مشدّدًا على كلّ كلمة: «أنا لست ذلك الشخص.. أنا 005 سواءٌ اقتنعتِ أم لا».

توقفت دموعها عن الانهمار وهي تتأمّله وتستمع إلى كل كلمة يقولها، لم يتألّم قلبها هذه المرّة، لم تنتَبها رغبة بالبكاء أو المحاربة أكثر، فقد أدركت وبشكلٍ مؤسف أنّها كانت تخوض معركة خاسرة؛ لذا قرّرت التّخلي عن كلّ شيء أخيرًا والاستسلام.

«لا تقلق.. فلقد أدركت ذلك الآن وقبلت الحقيقة..

أنت 005 وأنا لا أستطيع تغيير ذلك، لا أستطيع أن أخلق النور بداخلك، لا يمكنني أن أستمر بحبك وأضحي بحياتي من أجل وهم، من أجل شخصٍ لا وجود له..

لقد حذّرتني ولم أسمع. قلتَ لي إنّي سوف أتأذى وأُكسَر، وتأذيت وكُسِرت.. والآن جعلتني أتمنى لو غرقت تلك الليلة، أو قتلتني في كلّ مرّة سنحت لك فيها الفرصة، جعلتني أتمنّى لو أنّي لم أحاول النجاة أبدًا، وها أنا ذي أتوقف عن المحاولة. سأعود إلى لندن وأواجه مصيري.. هذه نهاية رحلتي معك».

ابتعدت عنه واتجهت لغرفتها مغلقةً الباب، وظلَّ مارسيل متجمدًا مكانه، يحدق بالفراغ وهو يشعر بتلك الشعلة مجددًا. وضع يده على موضع الألم، ولم يعلم كيف يوقف ذلك الشعور!

بدأ يوجِّه ضربات خفيفة متتالية إلى صدره ولكن ذلك كان يزيد الأمر سوءًا لا أكثر؛ يجعله يشعر أنَّه لا يستطيع التنفس بشكل جيد، ولا يستطيع طعن نفسه بالطبع ولا الوصول لقلبه ليطفئ تلك الشعلة المزعجة التي تكبر وتُحرق جسده كله.. يجب أن يعاني منها!

حلّ الصباح أخيرًا.. بعد أن احتفل النّاس بيوم الموتى وشهدوا الموت بعينه. بدأت الإصلاحات على الفور، مع إقامة الجنائز في المقابر ودفن الضحايا، وكان الدّون فيرناندو حاضرًا لمواساة الأهالي وتقديم التبرعات كذلك.

وفي منطقة مطلَّة على الساحل الساحر، مملكة كاستيلا بيرو أو كما تُعرف بالمرأة الحديدية. تعيش في مجمعها الخاص، ذي التصميم الحديث والمتطور على عكس مجمع أندرياس العتيق، لديها رجالٌ منتشرون في كل مكان وأموالٌ طائلة تُحوَّل بين حساباتها وحسابات الموالين لها، وخاصةً بعد صفقة المخدرات الأخيرة والتي نجحت نجاحًا ساحقًا!

وها هي تزور ابنتها لورينا في جناحها الخاص، وتحمل حفيدها أندريه عن الأرض، ترفعه عاليًا وتحملق به بوجهٍ مشمئز بينما هو يحاول التملص منها والعودة للعب بألعابه.

وضعته أرضًا ثمّ قالت: «أفكّر بصبغ شعر عزيزي بيير».

لورينا بنبرة متضايقة: «كم مرة قلتُ لك إن اسمه هو أندريه يا أمي».

كاستيلا بازدراء: «اخرسي! اشكري ربك ألف مرة أنني أعترف به كحفيدٍ لي».

لورينا مشدّدة: «إنّه حفيدك وابني واسمه أندريه!»

«هه وجعلتِ ذلك الرجل القذر يسميه أيضًا.. ألا يكفي أنك رخَّصتِ نفسك له وأنجبت ابنًا نسخة منه!؟» هزّت كتفها: «لا يهم! إن اسمه بيير مثل والدك وسأصبغ شعره للأشقر كي يشبهك قليلًا».

تضايقت لورينا وأبعدت ابنها، ثمّ جلست والدتها تدخن سيجارة فاخرة وتملي على الخادمات الأوامر بما يخصّ طعام الإفطار.

«سمعت أنك هاجمتِ منطقتهم».

«أجل ولكن أندرياس لا يزال حيًّا مع الأسف».

«أمي! أخبرتك أن تبتعدي عنه! توقفي عن الاقتراب منه أو إيذائه».

«لا تدافعي عنه أمامي وإلّا فقأت عينًا منك وعينًا من ابنك وأرسلتهما إليه! كما أنه تجاوز حدوده وأتى لرؤيتكما».

«يريد رؤية ابنه ولديه الحق في ذلك، لم يره منذ زمن طويل بسببك!»

«هذا ابنه في أحلامه فقط.. آه كم أود أن أبصق عليكِ وعليه الآن!»

«فعلتِ ما هو أسوأ، وحبستنا هنا أيضًا».

«ولن أرتاح حتى أقتله وأبيد آل كورتيز كذلك!»

لورينا بوجه جادّ: «لو تعرض لأذًى فسوف تخسرينني للأبد».

«لا تقولي إنك ما تزالين تحبين ذلك القذر!»

«هو والد ابني والذي لا أريده أن يكبر بدون أب».

«صَه! لا أريد سماع هذا الهراء.. والآن هيَّا، ستتناولان طعام الإفطار معي».

انصرفت كاستيلا مع حراسها وتنهدت لورينا تنهيدة طويلة قبل أن تحتضن ابنها بقوة وتذرف الدموع محدقة بالبحر عبر إطلالة جناحها.

«ماما؟ دموع؟ لماذا؟»

قالت بابتسامة وهي تمسحها: «أنا بخير».

«ماما؟ متى ألعب الكرة مع بابا؟»

«لا أعلم يا حبيبي.. لا أعلم».

لمس وجهها ومطّ شفتيه: «متى تعلمين؟»

«لاحقًا، هيَّا سنذهب لجدّتك».

عقد حاجبيه: «لا أحبّ نانا! لا تعرف اسمي ولا تعطيني الحلوى ولا تحبّ بابا أيضًا».

«لا تقل هذا أمامها يا عزيزي وإلا غضبت. اتفقنا؟»

هزّ رأسه قبل أن يمسك بيدها، ثمّ لفت انتباهه شيء ما فهتف: «ماما انظري، طائرة!»

عقدت حاجبيها والتفتت إلى حيث يشير ابنها لترى طائرة درون تتجول بالقرب من نافذتها الزجاجية.

«قد تكون لأحد الأولاد وحلّق بها عاليًا للتصوير.. والآن هيَّا بنا».

«أريد واحدة!»

«حسنًا حسنًا، عندما تكبر فسأحضر لك واحدة».

تحركت لورينا مع أندريه الذي لا يزال يراقب المروحية التي ابتعدت، وجالت حول المنطقة كلها دون أن يكترث لها أحد من السكان، والذين ظنوا أنها تعود لأحد الصبية الذي يقوم بتصوير مقطع فيديو حتى هبطت أخيرًا على سطح برج يطلّ على منطقة كاستيلا، وبجانب مارسيل الذي

أغلق جهاز التحكم بعد أن حفظ بيانات ما التقطته الكاميرا.

ثمّ رفع هاتفه وأدرج رقمًا قبل أن يضع السمّاعة على أذنه ويجيبه شابّ يبدو من صوته أنّه أخرق ومندفع!

«سِييل! كيف الحال؟»

«وفّر ذلك وأخبرني أنّك لا تزال في المكسيك».

«لقد عدت إلى هلسنكي ليلة البارحة، ولكن ماذا تريد؟»

«أحتاج إلى مروحياتك المميّزة».

«وكم تحتاج؟»

«مئتين، وأريدها في غضون خمسة أيام وفي موقع محدد. سوف أرسل لك التفاصيل».

«أريد خمسة عشر مليون يورو!»

مارسيل ببرود: «سبعة ملايين يا ميكي».

«هذا قليل وأنت تطلب الكثير! العدد والأيام والموقع.. اجعلها اثني عشر مليونًا».

«تسعة وإلّا أنهيتُ الاتصال وبحثت عن شخصٍ آخر».

تأفف ميكي: «حسنًا! أرسل التفاصيل والطلبات الخاصّة».

أنهى مارسيل الاتصال قبل أن يحمل أغراضه ويرحل عائدًا إلى مجمّع أندرياس وإلى الشّقة، ليرى روبي تتحدّث عند الباب مع الرّجل الذي قام بتصويرها من أجل جواز السّفر واستخراجه.

فسحت الطريق دون أن تنظر إليه، مستمرّة بمخاطبة الرّجل والاستفسار منه.

«متى سينتهي الجواز؟»

«لو كنتِ محظوظة فقد ينتهي في غضون يومين أو ثلاثة».

«ألا يمكن أن يكون أبكر من ذلك؟»

«سوف نستخرج جوازًا حقيقيًّا وليس مزيّفًا يا آنسة، كما أنّك أجنبية لذا سيتحتّم علينا التّعامل مع هذا الأمر كذلك».

«فهمت.. شكرًا لك».

«العفو، وإلى اللقاء».

«مهلًا.. أين أندرياس والبقية؟ لم أسمعهم هذا الصباح»

«إنّهم لا يزالون في المقابر، يشرفون على الجنائز».

أومأت فقط قبل أن تشكره مجددًا وتغلق الباب، ثمّ اتّجهت لغرفتها متجاهلةً مارسيل ونظراته الخفيّة، لتستلقي على فراشها ولا تفعل أي شيء سوى النّوم كي تهرب من الواقع.

وكان مارسيل يقف في المطبخ، يحدّق ببابها مثلما فعل البارحة، ينتظرها أن تخرج وتأكل أو تبحث عن عصير الصباح وتتذمّر بسبب طبق البيض، ولكنّها لم تفعل.. لقد أنهت كلّ شيء بالفعل، وبات المكان موحشًا.

4: الهدف والفاتنة

«مذكرتي العزيزة.. أو بالأحرى دفتر الملاحظات الذي أتخذه مذكرتي حتى إشعارٍ آخر..

حصلتُ على جواز سفري وتأشيرتي في أقلّ من يومين، وقال أندرياس إنّي محظوظة فالأمر عادة يستغرق وقتًا أطول من ذلك حتى لو كانت هناك توصية منهم، وحينها آمنت أن الحياة تريد أن تبعدني عن المكسيك وعن مارسيل بأي ثمن.. أو أنها تريد موتي بسرعة.

جواز السفر الذي حصلت عليه حقيقي، ويثبت أنني مكسيكية الجنسية على الرغم من أنني لا أبدو كذلك ولا أتحدث اللغة حتى، وصورتي سيئة، لكن موظفي المطار سيعرفون أنها أنا حتمًا.

لم يعجبني لون الجواز، إنّه أسود وبه صورة لعُقابٍ وهو يلتهم ثعبانًا فيما يقف على شجرة صبار تنبت من صخرة.. خرافة مكسيكية لم أزعج نفسي بالتساؤل عنها بالطبع.

كرهتُ لونه، وكرهت الصورة.. يذكرني اللون الأسود بمارسيل وتذكرني الصورة بعالم المافيا والجريمة الذي غرقت به، عالمٌ أغرقتني به والدتي عندما خانت الرّجل الذي حسبته والدي والذي بدوره أرسل الشخص الذي وقعت بحبّه وكسرني ليقتلني..

لا أعلم من ألوم بعد الآن، هل ألوم والدتي، جوناثان أم جيم الذي خدعني، أو مارسيل الذي لم أعد أتحمّل رؤيته أو البقاء بجانبه للألم الذي

يعصر قلبي في كلّ مرة أنظر فيها إليه.. إنّه عذاب ولا أستطيع تحمّله، لم تعد بي طاقة بعد الآن.

بات يخرج كثيرًا، ولا أعلم ما الذي جرى بينهم. لم أرد أن أعلم أيضًا.. كلُّ ما أريده هو الوصول للنهاية والخلاص من هذه الحياة التي لا تريدني..

لم أعد خائفة بعد الآن، فلقد تعبت.. تعبت».

أغلقت روبي الدفتر بعد آخر كلمة ثمّ سعلت مجددًا، بينما مارسيل يحضّر الشاي في المطبخ ويسمعها، ولا يسعه ألّا يفكّر كيف أنّها تسعل كثيرًا في الآونة الأخيرة.

خرجت من الغرفة وهي تسعل سعالًا مكتومًا، ثم اقتربت من مارسيل الذي دفع بكأس الماء الذي سكبه لجانبها، وحينها مدَّت يدها لتسحب الإناء الزجاجي وتخدم نفسها بكأسٍ آخر تجرّعته دفعةً واحدة قبل أن تغسله وتعيده مكانه ثمّ تخرج متجاهلةً وجوده مجددًا!

تنهَّد تنهيدة طويلة وهو يشعر بالانزعاج، وليس من تصرّفها فحَسب بل من نفسه، ما يزال يتساءل لماذا هو مستاء وقلقٌ عليها لهذه الدرجة.

«سحقًا!..»

اعترض بعض الرّجال طريقها عندما همّت بالخروج، نظرت إليهم باستغراب، فأخبروها أن تطلب الإذن من أندرياس لأنّه منع خروجها فتنهدت وسألت عن مكانه، ثمّ تركتهم وتوجهت للسطح حيث رأته يجلس ويستند على الجدار، يدَخِّن وفي حضنه علبة الدهان.

اقتربت منه بتردد؛ لا تزال غير قادرة على النّظر إلى وجهه بعد كلّ الذي حدث.

«ما الأمر يا سنيوريتا؟»

«لم يسمحوا لي بالخروج».

«بروتوكولات جديدة.. ماذا تريدين؟»

«أظنّني على وشك الإصابة بنزلة برد، لذا أرغب بالذّهاب للصيدلية قبل أن يتطور الأمر.. من فضلك».

أندرياس بعد أن نفث الدّخان: «سآخذك للصيدلية ولكن بشرط».

«ما هو؟»

«تخلصي من علبة الدّهان هذه ولكِ ما تريدين».

قطبت حاجبيها في استغراب، ثم تنهد أندرياس ونهض يقرّب منها علبة الدهان التي فتحتها لتجد السجائر الخاصة به.

«ما هذا؟»

«لا تسألي وتخلصي منها فحسب، فأنا لا أستطيع».

زفرت باستسلام وأخذت علبة الدهان معها للأسفل، ولحق بها أندرياس حتى شقتها التي وضعتها فيها فقط وخرجت.

حدقا بعضهما ببعض قليلًا، ثم قال بازدراء: «ما هذا؟»

«سأتخلص منها عندما نعود».

تذمّر: «وهل تظنين أنني ارتحت هكذا؟ هل أنا طفل في نظرك يا سنيوريتا؟ دمريها أمامي».

«اعتبرها تدمرت».

سعلت مجددًا فتراجع أندرياس للخلف باشمئزاز: «آي آي يبدو أن الأمر يتطور بسرعة. اتبعيني!»

أخذت روبي في طريقها تتأمل الإصلاحات في الحيّ والأطفال الصغار وهم يلعبون في الأرجاء، وابتسمت عندما لوَّحت لها الطفلة الصمّاء وهي تلعب مع الجرو ماتشا، ثمَّ توقّف أندرياس يحادث بعض الأهالي الذين أوقفوه، وأعطته امرأة عجوز كيسًا صغيرًا من قطع المانجو المجفَّف، أصرَّت أن يأخذه ففعل ذلك وشكرها، كما ناول روبي قطعة لتومئ له بامتنان وتحملق بها للحظات.

«أندرياس؟»

التفت إليها: «أجل؟»

قالت بنبرة هادئة وهي تتحاشى النّظر لعينيه لأكثر من ثانية: «شكرًا..»

ابتلع ما بفمه: «هل أعجبتك؟ إنّها لذيذة بالفعل».

هزّت رأسها مرة واحدة: «ليس هذا.. بل على إنقاذك لي أمام الدّون».

«شعرتُ بالشفقة عليكِ ليس إلّا، واستحققتِ مساعدتي».

خفضت عينيها وأومأت فقط ثم تنهَّد أندرياس عندما رأى حالتها، وكيف أنّ غيمة الحزن والهموم لا تزال تغطّيها.

«أعرف شعورك» نظرت إليه فتابع: «كنتُ في مكانك من قبل وأعلم كيف هو شعور الخذلان والرفض من شخصٍ تحبّينه، وصدقي أو لا تصدقي فقد بكيت واحمرت عيناي أيضًا لكن ليس مثلك فأنا رجل!»

«هل وقعت في الحب من قبل يا أندرياس؟»

زفر ضحكة: «آي آي بالطبع وثلاث مرات! وكل وقوع كان أقسى من الآخر لكنني بخير وستكونين بخير أيضًا».

«كيف أمكنك الوقوع في الحب ثلاث مرات وأنت لا تزال يانعًا؟ هذا جنون!»

هز كتفه قائلًا: «ماذا أفعل؟ قلبي ضعيف ولكن! إرادتي قوية وأملي كبير بأن المرأة الرابعة ستكون مختلفة!»

«توقف عن كونك زير نساء إذًا وقد تجدها».

أشار بسبّابته: «أو! أستمر وأجدها. عصفوران بحجر».

قلبت ناظريها والتفتت لتخفي ابتسامتها ثم تنهدت تنهيدة طويلة قبل أن تستأنف تجوالها معه ويصلا للصيدلية التي تديرها امرأة سمراء حسناء لوحت له على الفور وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث المعسول على طاولة الحساب.

لقد كانت الصيدلية صغيرة لكن وجدتها روبي تفي بالغرض، بحثت عن مسكنات الألم وبعض اللوازم الأخرى، ثم توقفت أمام حلوى احتقان الحلق وحدقت بالنكهات المتنوعة.

استرقت نظرة للمرأة التي تضحك على كلام أندرياس قبل أن تعود للحلوى مجددًا، ثم التقطت نكهة الليمون والنعناع ولمست علبة نكهة الفراولة.

((نكهة القراولة هي الأسوأ))

تجمدت لبرهة عندما تذكرت مارسيل الذي التقت به لأوّل مرّة في محطة توقف الحافلات، وكيف أنَّه قال تلك الجملة لها قبل أن يغادر الحافلة..

سرحت في الذكرى قليلًا، حتى أعادها نداء أندرياس للواقع واكتفت بأخذ نكهتها المفضّلة فقط قبل الخروج

«هل هذه الحسناء هي الرابعة يا ترى؟»

«هذه فتاة صغيرة! إنّها في الثامنة عشرة».

«ماذا!؟ تبدو امرأة بالغة.. عجبًا».

«لديها مستقبل باهر!»

«على الأقل حسّنت من مزاجك».

«ماذا تعنين؟»

«تبدو شارد الذهن على غير عادتك.. وكأنه يوجد ما يقلقك».

صمت أندرياس وتغيرت ملامحه، وهنا تيقنت روبي من صحة كلامها لكنها لم تشأ أن تسأله عن السبب.

«أنا قلق.. على ابني».

«هل هو مريض؟»

التقط نفسًا عميقًا، ثم سحبها إلى أحد الأزقة بعيدًا عن الناس ومسامعهم، وشعرت بالقلق لنظراته الجادة إليها.

«أريد سؤالك شيئًا يا روبي».

«ما الأمر؟»

«هل 005 يستحق الثقة؟

ضعي مشاعرك وما فعله جانبًا وأجيبي عن سؤالي.. هل هو شخص يمكنني الوثوق به في مهمة؟»

صمتت روبي خافضة عينيها فتابع أندرياس: «سأكون صادقًا معك.

طلبنا منه أن يقوم بعملية اغتيال، وابني وأمه قريبان جدًّا من الهدف المحدد. أخبرناه ألا يمسهما بسوء، ولكني خائف لأنني أعرف نوعيته وأمثاله؛ لذا أسألك مجددًا، هل أستطيع الوثوق به؟ هل سينفذ المهمة كما طلبنا منه؟»

نظرت لعينيه مليًّا قبل أن تقول: «هو رجل يحب التحديات.. وإن كانت مهمّة فسوف ينفذها كما طلبتم».

«وماذا لو تأذّيا؟ ماذا أفعل به وبك؟»

«يمكنك قتله.. وأنا سأموت على أي حال لذا لا تتعب نفسك بقتلي أيضًا».

حدقا بعضهما ببعض قليلًا قبل أن يتنهد أندرياس ويخطو للخلف مبتعدًا عنها.

«قتلكما لن يكون كافيًا لو تأذت شعرة منهما يا سنيوريتا».

شردت بذهنها قائلةً: «ولهذا السبب لم أحبذ القتل منذ البداية.. تقتل شخصًا فيأتي من يعزه ويقتلك، ثم يأتي من يعزك أنت ويقتله وهكذا.. دوامة لا تنتهي إلا حينما يموت الجميع ولا يبقى أحد حي ليحمل ذكرى الآخر.

ولكن، هذا منظوري أنا كامرأة عادية دخيلة على هذا العالم».

«ليس بالضرورة أن يتحول الأمر لدوامة، وأحيانًا تجبرك الحياة على رفع السلاح. أنتِ محظوظة فقط لأنَّك لم تتعرضي لموقف تُجبَرين فيه على تلطيخ يدك». أردف: «لا تعلمين متى وكيف سيتغير منظورك ولكني آمل ألا تخسري شخصًا حينها يا سنيوريتا».

ثم ابتسم برقّة وقال: «هيَّا بنا.. أود دعوتك على مشروب مثلج في الطريق. ستحبينه».

التفت أندرياس وتغيرت ملامحه للهدوء مجددًا، وتبعته روبي بصمت إلى كشكٍ جوّال لصبي يبيع مشروبًا مثلجًا وبنكهات متنوعة.

اختار نكهتين ودفع للصبي مبلغًا فوق سعر البيع الأصلي ليبتسم ويشكره، ثمّ ناول روبي الكأس البلاستيكي فارتشفت منه وقلقت أن برودته ستؤلم حلقها أكثر، لكنه كان لذيذًا حقًّا ويستحق أن تتغاضى هذه المرة.

«هيه أندرياس، سمعت بعض الرجال يتحدثون عن امرأة فاتنة أتت للمنطقة».

«هل كانت وحدها؟ لا رجل ولا زوج؟»

«كانت وحدها!»

قال باهتمام وهو يرتشف من عصيره: «تابع الحديث».

«يقولون إنها فاتنة أكثر من غلوريا!»

أندرياس بضحكة: «آي آي...»

انضمّ الصبي البائع للمحادثة قائلًا: «مررت من جانبها وكاد يغشى عليَّ من رائحة عطرها! سوف تعجبك حتمًا ولكني أتساءل لو ارتقيتَ أنت لمستواها!»

دفع أندرياس وجه الصبي بلطف: «التفت إلى عملك يا ولد! لا يوجد من هي أجمل من غلوريا».

الصبي بسخرية وهو يدفع عربته هاربًا: «ومع الأسف تركتك وانتقلت مع زوجها للريف».

هز أندرياس رأسه متوعدًا ثم زفر ونظر إلى روبي التي لم تفهم أي شيءٍ من محادثتهما وانشغلت بتكسير الثلج المجروش أكثر وتناوله.

عادت معه إلى المبنى، حيث رأى رجالًا يتجمهرون ويتحدثون بعضهم مع بعض حتّى أسرعوا إليه عندما لمحوه.

زفر بضجر: «ما المشكلة؟»

«هناك امرأة ترغب بمقابلتك... آيبي إنها قنبلة قنبلة يا أندرياس!»

«هل هي المرأة ذاتها التي يتحدثون عنها؟ صاحبة العطر القوي؟»استنشق الهواء: «أستطيع شمّ رائحة عطرة بالفعل».

«أجل أجل!»

هزّ أندرياس رأسه بينما سبقته روبي بالدخول، ولفت انتباهها المرأة الجالسة عند الطاولة بجانب النافورة في الفناء، لقد كانت ترتدي فستانًا أسود بأذرعٍ مكشوفة يرسم انحناءات جسدها المثالية، وتعتمر قبعة سوداء كبيرة بوشاح أبيض معقود.. كانت مميزة ولافتة للانتباه بصدق وكأنها امرأة ثرية خرجت من فيلم كلاسيكي قديم!

لم تُطل النّظر وصعدت متجهةً لشقتها بعد أن تجاوزها أندرياس دون أن يعطيها فرصة لتشكره حتى، ثم نهضت المرأة عن الطاولة عندما أخبرها المضيف بوصوله واقترب منها كما لو كان يتم سحبه وجذبه إليها رغمًا عنه، وعندما خلعت قبعتها ورأى وجهها جيدًا، حبس أنفاسه!

كان كل شيء بها مثاليًّا ومغريًا بالنسبة له، عطرها، شعرها، ملامح وجهها، أحمر شفاهها وشامتها السوداء الصغيرة فوق شفتها، لون عينيها والنظرة التي تعلوهما.. نظرة تقول له إنّ هذه ليست امرأة سهلة أبدًا!

تمتم: «آي آي يا إلهي اجعل هذا الفن آخر شيءٍ أراه» ثمّ تنحنح وقال محدقًا بعينيها: «المعذرة، هل أخبركِ أحدٌ من قبل أنّك خطر على جنس الرجال؟»

ابتسمت إيزابيل بتكلف: «أجل».

«آه تفهمين وتتحدثين الإسبانية أيضًا.. لا داعي أن تبهريني أكثر فقد حظيتِ بقلبي».

لم تبدِ إيزابيل ردة فعل على غزله الرخيص وهذا أثاره أكثر؛ فهي معتادة على هذا الكلام من كل الرجال الذين تقابلهم.

«ما اسمك يا فاتنة؟»

«إيزابيل مارلون».

نطق اسمها بصوتٍ غزلي: «إيزابيل.. اسم جميل».

«هل أنت أندرياس غارسيا حقًّا؟»

زفر أندرياس يشكر والديه على تسميته، ثم أخذ يدها بلطف وطبع قُبلة قبل أن يقول: «بشحمه ولحمه، كيف أخدمك؟»

«سمعتُ أن هذه منطقتك، وأعتذر لقدومي هكذا ودون موعد مسبق».

«لا داعي للاعتذار يا حبّي وأهلًا بكِ في أيّ وقت».

«أنا هنا من أجل شخص.. 005».

لم يستطع أندرياس ألا يتفاجأ منها ويشعر بالريبة، ثمّ قال: «005؟ ما علاقتك به؟»

«نعرف بعضنا بعضًا.. أخبرني أنه هنا ولكني لا أجده ولا يجيب على مكالماتي. وجدتها وقاحة أن أبحث عنه بمفردي وألاّ أقدم نفسي لك بما أن المنطقة منطقتك».

«ذلك اللعين»~ أندرياس

وبينما كانت روبي تعد الشاي الأخضر لنفسها، طرق أندرياس الباب فتركت ما بيدها وذهبت لتفتحه وتُفاجأ بإيزابيل.

جالت أعينهما بعضهما على بعض، وكانت نظرات روبي تمثل الانبهار لجمال إيزابيل وأناقتها، على عكس الأخرى التي كانت تنظر لها باستصغار!

ثم وضع أندرياس حقيبة سفرها الصغيرة على الأرض قائلًا: «روبي.. هذه صديقة لـ 005 فأحسِني استقبالها».

أومأت إيزابيل بامتنان لحمله حقيبتها، ثم نظرت إلى روبي التي تداركت نفسها وفسحت المجال لتدخل بينما أندرياس يركز بهما حتى أومأ لروبي قبل رحيله.

أغلقت الباب والتفتت إلى إيزابيل التي تتأمل الشقة وشعرت بالريبة، كما أخذت تحدق بملابسها وبعقد اللؤلؤ الجميل الذي ترتديه حتى التقت نظراتهما أخيرًا.

«هل أنت روبي سميث؟»

«هل تعرفينني؟»

«أجل».

أومأت روبي والشكوك تراودها، ثم قالت: «هو ليس هنا على ما يبدو، يمكنك انتظاره حتى يعود».

«سأفعل.. لكن لا أريدكِ أن تكوني هنا عندما يعود».

وفي تلك الأثناء، عاد مارسيل للمبنى وتصادف مع أندرياس الذي هبط من الدرج وهو يرمقه ببرود، ثمّ همّ بإخباره عن الزائرة لولا أن علا صوتُ طلقة نارية أفزعتهما وجعلتهما يندفعان إلى الشّقة فورًا!

دفع أندرياس الباب ودخل مارسيل ليرى إيزابيل توجِّه المسدس الصغير على روبي التي تلتصق بالجدار الذي حُفِرت فيه الرصاصة الطائشة!

استل أندرياس سلاحه، بينما تقدَّم مارسيل ببطء وهو يناديها لتترقرق عيناها بالدموع وهي تنظر إليه.

وقعت عيناه على روبي التي تقف متجمدة مكانها، تبتلع خوفها ورجفتها قدر الإمكان، ثم عاود النظر إلى إيزابيل التي لا تزال توجِّه سلاحها نحوها.

اقترب أندرياس منها بحذر قائلًا: «اتركي المسدس يا حبّي».

تجمهر الرجال المسلَّحون خارج الشقة، فأمرهم بالتّريث، ثمّ خطا خطوة أخرى نحوها فهدّدت: «لا تقترب وإلا أطلقت النار عليها».

توقف مكانه ولكنه لا يزال ينظر لها بحدة ويوجه سلاحه دون تردُّد، أما مارسيل فقد اقترب منها أكثر وقال بهدوء: «إيزابيل.. انظري إليّ»

«أريد قتلها»

«لا.. أنتِ لا تودين ذلك».

«بلى! سيعاقبك بسببها لذا دعني أتخلص منها».

علم مارسيل أنها تقصد جاريد بكلامها، وكان واثقًا أنه استغلها وأثّر عليها بطريقة ما لتنفعل بهذا الشكل، لذا يجب أن يتعامل معها جيدًا حتى لا تؤذي روبي!

«أعطيني سلاحك».

همست: «يجب أن تموت ويجب أن نرحل من هنا».

مدّ ذراعه قائلًا: «سنتحدث بالأمر، ولكن اتركي سلاحك أولًا.. كل شيءٍ سيكون على ما يرام».

تركت السلاح يسقط على الأرض عندما لمس كتفها، ثمّ احتضنته فعقد ذراعه حولها ودفع مسدسها بقدمه إلى أندرياس الذي التقطه بسرعة.

كانت تتمتم بكلمات سريعة وغير مفهومة وهي تدفن رأسها في كتفه حتّى قادها لغرفته وحبسها هناك وبقيت روبي تحملق في الفراغ بصمت كسره أندرياس بسؤاله:

«هلّا يخبرني أحد بما يجري؟ لماذا حاولت تلك الفاتنة قتلكِ يا سنيوريتا؟»

التفتت روبي بهدوء وقصدت غرفتها مغلقةً الباب دون قول أيّ كلمة، ليوجّه أندرياس نظراته الحادّة نحو مارسيل:

«وأنت..؟ ما إجابتك؟»

«ليس من شأنك».

«هناك رصاصة على جداري لذا الأمر من شأني».

«سأصلح الجدار؛ لذا لا تهتمّ لأمره بل اهتمّ بتنفيذ طلباتي التي أرسلتها إن أردت أن أنقذ ابنك وأمّه».

أخذت إيزابيل تقصُّ على مارسيل ما فعله جاريد، ما قاله وكيف أخافها، وكان هو يستمع لها بصمت، ملامح هادئة.. وبالٌ مشغول بروبي!

«إنه قادمٌ من أجلك، وقال إنه سيعاقبك أيضًا لتركك الهدف حيًّا!» مسحت على وجهه: «أرجوك دعنا نهرب من هنا. لدينا المال الكافي ويمكننا الابتعاد عنه قدر الإمكان.. أرجوك!»

أبعد وجهه عنها قائلًا: «لا يمكنني الرحيل من هنا بعد، كما أنني لن أهرب، وأنا أنتظر لقاءنا هذا منذ زمن طويل».

«سوف يقتلك! أنت لست ندًّا له. أرجوك انسَ أمره».

«أنتِ خائفة فقط.. أنا خائفٌ منه أيضًا، ولكنّني لن أتراجع فلا مجال للتراجع».

اقتربت أكثر وهمست محدقة بعينيه: «أنا أحبك.. ولن أتحمل لو أصابك مكروه، لذا لنهرب».

شرد ذهنه بعد اعترافها، وأخذ يفكر ويغوص داخل عقله وقلبه وكأنه يبحث عن شيءٍ ما، لتتعجب إيزابيل منه.

«مختلف..»

«ما الذي تتحدث عنه؟ ما الأمر المختلف؟»

لمس وجهه بتعب: «كانت رحلتك طويلة لذا ارتاحي وسنتابع الحديث لاحقًا».

قال تلك الكلمات وخرج، ثم نظر إلى باب روبي واقترب منه حتى وقف أمامه بالضبط.

أسند جبهته عليه بلطف وأغمض عينيه متذكرًا اعترافها والشعور

الذي انتابه، وكيف أنَّه لم يشعر بشيء عندما اعترفت إيزابيل لتوِّها، وحينها تساءل ما خطبه مجددًا وأيقن أنّ به خللًا ما!

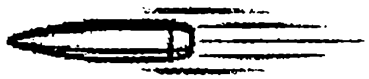

نسيم لطيف وسكون ليلٍ يعانق القمر، أفكارٌ ومشاعر تطير فوق رؤوس الساهرين تصدُّ عنهم النوم لتغرق أرواحهم أكثر فأكثر...

ولأول مرة، كرهَ مارسيل السكونَ، كرهه لأنه لا يستطيع سماع صوتها رغم بقائه مستيقظًا وواقفًا عند طاولة الطعام مقابل غرفتيهما. لم يغلبه النعاس ولا التعب، وظلَّ ينتظر وينتظر حتى خرجت روبي من الغرفة لإعداد كوبٍ من الشاي الذي لم تستطع شربه عندما قدمت إيزابيل.

التقت نظراتهما لثانية، ثمّ أشاحت بوجهها واتّجهت للمطبخ. حضَّرت كوبها في هدوء تام وحينها كان مارسيل من كسر الصّمت وقال: «أعتذر نيابةً عنها على ما حدث..»

لم تُجبه أو تلقِ له بالًا، وعندما همَّ بقول شيءٍ آخر، خرجت إيزابيل وهي تلفُّ جسدها برداءٍ حريري أسود وطويل، وكانت تبدو أكثر جمالًا دون مساحيق التجميل.

رمقت روبي بنظرة سريعة قبل أن تنظر إليه، وتقول بنعومة: «أنا جائعة..»

نقر على الطّاولة بسبّابته قبل أن يومئ: «سأطلب لكِ شيئًا من الخارج».

عقدت ذراعيها وقالت متصنّعةً البراءة: «معدتي مضطربة بسبب الطيران، ولا أرغب بالمخاطرة بطعام من الخارج. هل يمكنك أن تعدّ لي الحساء فقط من فضلك؟ أنا متعبة لأعدّه بنفسي».

حدقت روبي بكوبها، منتظرة إجابة مارسيل الذي حملق بإيزابيل قليلًا قبل أن يتنهّد تنهيدة قصيرة ويجاريها:

«حسنًا، سأناديكِ عندما يجهز الحساء».

أومأت بامتنان: «شكرًا.. سأكون بالانتظار».

نهض للمطبخ بعد رحيلها ونظر إلى روبي التي لا تزال تسرح بكوبها، ثمّ أخذت شهيقًا من أنفها قبل أن تحمله وتسرع متجاوزةً مارسيل الذي عاد الاستياء ليتملّكه.

أغلقت الباب ووضعت الكوب على المنضدة، وحينها انكمش وجهها وفرَّت شهقة باكية من حنجرتها فكتمت فمها على الفور وكلّ ذلك لأنّ مارسيل اعتذر نيابةً عن إيزابيل، والآن يحضّر الطّعام لأنّها أخبرته أنّها جائعة، وهي تبقى في غرفته، سوف تنام على فراشه، وسيكون بجانبها..

«توقفي أيتها القنوات الدّمعية الحقيرة! توقفي توقفي! هذا يكفي.. هذا يكفي!»~

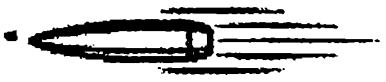

وفي أحد الفنادق الفخمة والمحصّنة، كان الدّون فيرناندو يمكث في جناحه الخاص إلى إشعارٍ آخر، أو بالأحرى حتّى تنتهي مهمة 005...

«هل حقّقت مع المرأة عن بيتروفا؟»

ابتلع أندرياس رشفة القهوة بصعوبة: «لم تسنح لي فرصة.. ولكن لا أظنّ أنّها تعرفه، وإلّا لما كانت طلبت العودة إلى لندن لملاقاة حتفها، وكنّا نراقبها عن كثب كذلك، وهي لم تظهر صفات الجواسيس أو تحاول التواصل مع أحد غريب».

«أندرياس...»

أجاب بتوتّر: «نعم؟»

«لا أريد تكهنات! تحقق أنّها ليست من الأنصار قبل إرسالها. لا أريد أن تصل أخبارنا إلى ذلك المزعج بيتروڤا فلست في مزاج للتعامل معه».

«حاضر».

«ألم يخبرك 005 بموعد التنفيذ؟»

عاد العبوس ليغزو ملامح أندرياس الذي أجاب: «خلال يومين...»

«فهمت».

«هل تثق به أيّها الدّون؟»

«ليست مسألة ثقة.. أكره الاعتراف بذلك ولكن لديه سمعة تسبقه. هو مدرَّب لينفّذ مهامه على أكمل وجه وهذا ما أتوقعه منه».

أومأ أندرياس بعد تنهيدة قصيرة: «وما الذي تريد منّي فعله؟»

«لقد أرسلتُ لورينزو للتفاوض مع مورينو بشأنه وأخبرَه بمعلومة مهمة، لقد طلب اللعين جاريد إيڤان أن يكون هو المقتصّ من 005، ولهذا أريد منه البقاء هنا لو كان قادمًا من أجله.

سوف أقتله عندما يظهر! لقد كنت أنتظر هذه اللحظة منذ زمن طويل جدًّا لذا احرِص ألا يغادر 005 المنطقة حتّى لو أعلمنا بموقع بيدرو».

«أمرك».

«بإمكانك الرحيل الآن».

أومأ أندرياس بأدب قبل أن ينهض ويترك فيرناندو الذي تنهّد تنهيدة طويلة وهو يلمس جبينه، ثمّ سحب سوار ابنه الصّغير من جيبه وأخذ يقلّبه بين أصابعه.

لقد كانت زوجة الدّون الراحلة تدعى فالِنتينا، وكان اسمها يعني الصحة والقوة، لهذا سمّى ابنه بِاسم بيدرو والذّي يعني الصخر والقوة أيضًا، وقام بتوصية متخصصين ليجمعوا الأحجار البركانية ويصنعوا الأساور لثلاثتهم...

«سأجدك لو كنت حيًّا.. سأجدك»~

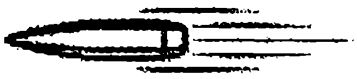

النّهاية تقترب، الموت يقترب.. وسيبدأ الصّيد قريبًا!

5: آخر ذكرى

لم يكن اليوم التّالي سهلًا على روبي..

وكأنّ الدنيا تستمرّ بتمزيق روحِها أكثر فأكثر، على الرغم من أنّها لا تملك أيَّ شيءٍ بعد الآن، ولا شيء لديها لتخسره سوى حياتها والتي ستنتهي قريبًا أيضًا.

كابوس مرعبٌ راودها وجعلَها تستيقظ فزعةً بدموعٍ حارّة تحرق عينيها وخدَّيها. رأت نفسها تهرب من رجالٍ يكتسون بالسَّوَاد، جميعهم بدون معالم وجه، يمشون خلفها وهم يحملون أسلحتهم بينما هي تركض بخوف باحثةً عن ملاذها. تتعثّر بجثث عديمة الملامح أيضًا عدا ثلاثة ميّزتهم جيّدًا.. ستيلا، مارك، وبرادلي! ثمّ وصلت إلى جرف هاوية وتحتها البحر المظلم. لم يعد لديها مهرب بعد الآن!

التفتت بفزع وهي تبكي لتجد مارسيل خلفها بالضبط، كان يحدّق بعينيها، ثمّ مدَّ يده ولمس وجنتها ليمسح دموعها قبل أن يودّعها ويدفعها للبحر، ليبتلعها الظلام ويكتم صرخاتها..

مسحت على وجهها المتعرّق ثمّ نهضت عن الفراش وخرجت من الغرفة تقصد الحمّام لترى بابه مفتوحًا وإيزابيل في الداخل، تضع أحمر شفاهها.

نظرت إليها باستصغار من رأسها إلى أخمص قدميها قبل أن تنتهي وتحزم حقيبة تجميلها الصغيرة لتخرج من الحمَّام الذي بات متشبّعًا برائحة عطرها..

كانت رائحتها أنثوية ومنعشة كما الحياة الوردية، بينما تفوح رائحة الموت من روبي. ترتدي ملابسَ أنيقة تُظهِر ملابس روبي رثّة، لديها وجه يُسعِد المرآة عندما تنظر إليها بينما قد تعبس لرؤية وجه روبي التي باتت خاليةً من الألوان.

خرجت إيزابيل من الشّقة -ولم يكن مارسيل موجودًا- وأخذت تتجوّل في المنطقة وهي بكامل أناقتها باحثةً عن صيدلية محترمة أخرى غير الموجودة، وكانت نظرات الرجال الغزلية تتبعها في كلّ مكان، وكذلك نظرات النساء الغيورات. لكنّها لم تكن تهتمّ لهم على الإطلاق.

ثمّ استوقفها متجرٌ صغيرٌ وبسيط للمشغولات اليدويّة، يعرض مجموعة من السّلال والمزهريات المصنوعة من القشّ، الصفصاف والسنديان.. صناعة اعتادت والدتها على بيعها من أجل لقمة العيش.

«هل أشتريها لكِ؟»

أعادها صوتُ أندرياس للواقع، فقالت: «أنا أشاهد فقط» التفتت إليه بكلّ ثقة وتكبّر: «هل هناك مانع يا ترى؟»

اقترب منها خطوة أخرى وقال مبتسمًا بغزل: «لا مانع على الإطلاق يا إيزابيل.. أم هل عليّ أن أناديكِ بداڤينا؟»

ابتسمت بتكلّف: «هل بحثت عن خلفيتي؟»

«لم أستطع أن أقاوم.. أنتِ لا تُقاومين».

«شكرًا على الإطراء، وداڤينا هو اسمي الفنّي وأنا لا أعمل حاليًّا أو أنوي ذلك في أي وقت قريب».

أندرياس بتهكّم: «بعبارة أخرى، أنتِ تقولين: ((أنت لن تحظى بوقت معي في أي وقت قريب وربما أبدًا))»

«((أبدًا)) تبدو فكرة رائعة. أحببتها».

ضحك ضحكة خافتة قبل أن يمرّر عينيه عليها ويقول: «حسنًا.. أخبريني الآن عن سبب تجوالك وحدك».

زفرت من أنفها بضجر: «كنت أبحث عن صيدلية أرقى من التي هنا، فلم أجد ما أبحث عنه».

«ترغبين بصيدلية أكبر إذًا» أومأ: «حسنًا، سوف آخذك خارج الحيّ وإلى واحدة أرقى كما ترغبين. سنلتف من الخلف إلى حيث مواقف السيارات».

«يمكنني الذهاب بمفردي».

ابتسم ابتسامة جانبية: «أعلم ولكن ستذهبين معي، أو يمكنك أن تعودي لصيدليتنا الراقية».

قلّبت ناظريها: «حسنًا..»

«من بعدك..» فتح ذراعه

سارت إيزابيل مع أندرياس بين الأزقة والطّرقات الضيّقة، وكان يقاوم الابتسامة والضّحك كلّما سمعها تتأفف بصوتٍ منخفض أو تتنهد وتشتم.

«انتعال كعبٍ عالٍ في مثل هذه الطّرقات فكرة سيئة جدًّا يا حبّي» أضاف بعينيه الباسمتين: «هل تتألمين؟»

«لا. أنا معتادة على الكعب العالي، ولكن ليس على المشي في طرقات كهذه».

غُرز كعبها بين شقوق الشّارع وكادت أن تقع عندما اختلّ توازنها، لكنّه أمسك بكتفها وثبّتها قبل أن يمسح بيده على ظهرها ويحملها بين ذراعيه فجأة.

رمقته بنظراتها بينما ابتسم هو قائلًا: «أنتِ خفيفة الوزن كما توقّعت».

«أنزِلني».

تحرّك متجاهلًا أمرها: «يمكنك أن تشكريني لاحقًا، فأنا أحملك رغم إصابة ذراعي، كما أنّنا اقتربنا لذا دعيني أرِكِ كم أنا نبيل».

«لست نبيلًا بل تحاول إغوائي».

«بالضّبط..» غمز لها قبل أن يلتفت للأمام وتقلّب هي ناظريها.

وصلت إلى صيدلية متطورة أكثر وذات مساحة أكبر، وأخذت تتجوّل بين الأقسام التّجميلية ومستحضرات العناية، وبجانبها أندرياس الذي حاولت الاستمرار بتجاهله وتجاهل تعليقاته ونظراته.

«لماذا كلّ هذا؟»

«أحضرت حقيبة صغيرة، وأخطّط للبقاء بضعة أيام لذا أريد بعض المستحضرات الممتازة».

«خذي هذا المستحضر إذًا.. برائحة المانجو. أحب المانجو وهي من أشهر فواكه المكسيك».

«لست مهتمة.. ولو أردت أن تكون زبونًا خاصًّا جدًّا فيجب أن تحجز وتنتظر دورك في الصّف، ثمّ موافقتي، وذلك لن يحدث أبدًا».

ابتسم أندرياس قبل أن يقترب منها ويسند يديه على الرّف خلفها، يحتجزها بين ذراعيه، ولم تتأثّر بحركته تلك أبدًا وبقيت ترمقه ببرود فقط.

«لو أردتك فعلًا فلن أكون زبونًا يا حبّي، ولن يكون هناك صفّ ليقترب مسافة كيلومتر منك».

«متملّك».

«إلى درجة كبيرة».

لمست ذراعه بأطراف أصابعها وقالت: «حسنًا أيّها المتملّك، دعني أتابع تسوّقي».

خفضت ذراعه وتخلّصت منه متابعةً تسوّقها حتّى انتهت وقام هو بدفع الحساب للمحاسب الذي لم ينفكّ يحملق بإيزابيل وهو مفتون حتّى اعتدل في وقفته عندما رمقه أندرياس بحدَّة!

حمل أغراضها ووضعها في صندوق السيارة، ثمّ فتح الباب وهو ينظر إليها بغزل، يحاول أن يغيظها ويحصل على ردّة فعل.

«سآخذك لتناوُل الغداء».

«لست جائعة، كما أنّني لا آكل أيّ طعام عشوائي».

«ستجوعين، وسوف تأكلين».

نظرت إليه وقالت بابتسامة جافّة: «لا أحبّ الرجال المتأمّرين».

«لا تحبّي الرجال بل أنا فقط، هذا أكثر من كافٍ يا حبّي».

قلّبت ناظريها وصمتت متأمّلةً الطريق حتّى وصلا لمطعم شعبيّ وصاخب وليس من مستوى إيزابيل التي لا ترتاد إلّا المطاعم الراقية والفخمة فقط على الإطلاق.

جالت بنظراتها وهي مشمئزّة: «ما هذا المكان؟»

«أفضل مطعم لديه شطيرة تاكو في كلّ ڤيراكروز! ستعجبك!»

«قلت لك إنني لست جائعة». استرقت نظرة حولها بتكبّر: «ولن أجلس هنا، فلا يبدو المكان نظيفًا ولا الطعام كذلك».

«أندرياااس!»

أتى صاحب المطعم مع عائلته ليرحبوا بأندرياس بصوتٍ عالٍ، يزيدون الإزعاج في المطعم، فحيّاهم بحماسة وعناق أيضًا.

«مَن الضيفة التي معك؟»

وضع يده على ظهر إيزابيل: «صديقة تتوق لتناول التاكو اليوم!»

«خذ طاولة إذًا!»

دفع إيزابيل بلطف ليجلسا إلى إحدى الطّاولات، وكان يحارب رغبته بالضّحك كلّما نظر إليها ووجدها منزعجة من كلّ شيء في المطعم. ليست مرتاحة أبدًا!

ناولها قائمة الطعام والتي كانت عبارة عن ورقة واحدة مغلّفة حراريًّا ومهترئة، وأخبرها أن تطلب ما تريد لترمقه مجددًا وتقول: «قلت لك إنني لست جائعة ولن آكل هنا».

«كما تشائين.. سوف تنتظرينني حتّى أنتهي إذًا».

تأففت بضيق، ثمّ سحبت هاتفها من حقيبتها الصغيرة لتتصفّح مواقع التواصل الاجتماعي وتضيع الوقت وحينها انتشله أندرياس بخفّة.

«لا توجد امرأة تجلس معي إلى الطاولة نفسها وتمسك بهاتفها».

تبادلا النّظرات قليلًا، وبدأت أعصابها تشتدّ، لكنّها تعلم أنّه يتعمّد فعل بذلك ولن تعطيه ما يريد!

عقدت ذراعيها وأرته الوجه الحجريّ، ليبتسم: «هذا ممتاز، تابعي مراقبتي».

وصل طبقٌ لطاولتهما بعد لحظات، وشربت إيزابيل الماء فقط بينما أندرياس يتناول التاكو الذي فاحت رائحته الشّهيّة، ولكنّه لم يداعب معدتها أبدًا، وكانت تنتظر الخلاص بفارغ الصّبر وخاصةً بعد أن بدأ النّاس ينهضون ويرقصون على أنغام الفرقة التي تعزف وتغّني الأغاني الشعبية.

«افتحي فمك..» قال وهو يمدّ يده بجزء صغير من الشطيرة.

ردّت بنبرة جافّة: «لا، شكرًا».

«سأطلب واحدة أخرى إذًا ولن نخرج من هنا حتّى موعد الإغلاق».

«سأعود بمفردي».

«كلمة واحدة منّي ولن تستطيعي عبور الباب.. والآن افتحي فمك».

ابتسمت بتكلّف: «لو كنت تظنّ أنّ هذه الأفعال ستجعلك تحظى بقلبي واهتمامي فأنت مخطئ يا سيد غارسيا».

زفر ضحكة: «سيّد غارسيا؟ لا داعي للرسميات يا حبّي.. ولو أردت قلبك فلن أتعب نفسي بالحصول عليه. ستهبينه لي بنفسك».

«لو كنت مكانك فسأقلّل من هذه الثقة. لست أوّل رجلٍ يحاول ذلك معي».

«قد لا أكون الأوّل بالنسبة إليكِ ولكني لست مثل أيّ رجلٍ يا إيزابيلا».

صحّحت بازدراء: «إيزابيل».

«حسنًا يا إيزابيل، كلي هذه القطعة».

«أنا لا آكل التاكو».

«دواعٍ طبّية؟»

كذبت في وجهه: «أجل. هل يمكننا الذّهاب الآن؟»

هزّ رأسه بدرامية: «آي آي لا لا لا! أعتذر لجهلي. يجب أن آخذك الآن لتناول الطعام في مكانٍ آخر، وربما سنتوقف عند كلّ مطعم في المدينة، ولو تطلَّب الأمر فسوف نأخذ طائرة لبلدٍ آخر، إسبانيا أو إيطاليا مثلًا و...»

قاطعت تذمّره بعد أن اشتدّت أعصابها: «حسنًا فهمت!»

مالت بجسدها قليلًا وفتحت فمها ليمدّ يده في الهواء قبل أن يسحبها ويأكلها!

«فات الأوان يا حبّي، فقدتِ فرصتك بعد الكذبة».

أطبقت شفتيها وشعرت بحرارة في جسدها، خاصةً وجهها. حملقت به بحدَّة قبل أن تنهض بتكبّر وتأخذ حقيبتها لتخرج، فضحك أندرياس ومسح يديه ثمّ أشار للمالك وخرج يلحق بها.

لم تقل شيئًا طوال رحلة العودة، ولم تشكره حتّى عندما حمل مشترياتها للشّقة، ولم يكن ذلك السلوك يغضبه، بل يشعر بالسّعادة لكونه تمكّن من إغاظتها قليلًا والحصول على ردّة فعلٍ منها، كما أنّه ممتنٌّ بعض الشيء لكون مرافقتها جعلته ينسى ما يشغل تفكيره والهمّ الذي يصاحبه في الآونة الأخيرة.

تنهّد تنهيدة طويلة قبل أن يتأمّل الرجال في الفناء، ثمّ التقط سيجارة من جيبه وهمس: «أتساءل من وضعكِ هنا.. لنأمل أنّها آخر مرة بحقّ!»

صعد عبر الدّرجات متوجهًا للسطح حتّى يدخن سيجارته بهدوء، ليتفاجأ برؤية روبي تقف أمام السّور بلا حراك.

«أرجوكِ لا تخبريني أنّك تنوين القفز يا سنيوريتا».

لم تجبه ولم تلتفت، فاقترب بهدوء وهو يشعر ببعض القلق حتّى لمس كتفها وحرّك جسدها ليقابل جسده، وحينها رأى وجهها الشاحب، وبدت وكأنّها تحدّق بشيء ولكنها لا تفعل في الوقت ذاته.

سأل باهتمام: «ما الأمر يا روبي؟ هل كل شيءٍ على ما يرام؟»

انكمش وجه روبي حينها ونشجت قبل أن تسند جبهتها على كتفه وتبكي، فاحتضنها أندرياس ليهدّئها، ولكنّها استمرّت بالبكاء الذي وصل لدرجة النّحيب!

قالت من بين شهقاتها: «ليس عدلًا.. ليس عدلًا».

ربّت على كتفها: «ما هو؟»

«كلّ شيء!»

تنهد أندرياس وظلّ صامتًا، ينتظرها أن تغسل قلبها، وهذا ما فعلته روبي بالفعل، فقد بكت وبكت حتّى بلّلت كتفه ونفدت دموعها أخيرًا!

مسحت على وجهها بعد أخذ نفسٍ مضطرب، ثمّ همست: «آسفة.. «

«لا بأس».

هزّت رأسها قائلةً: «لا.. بل بأس. لا شيء على ما يرام! لماذا حياتي هكذا؟ ما الذنب الذي اقترفته؟»

مسح على كتفها وقال بصوتٍ هامس: «لا تقولي ذلك».

«لماذا تتمّ معاقبتي هكذا؟ لقد أخذَتِ الحياة كلّ شيءٍ منّي! والآن تريد روحي أيضًا. لقد كافحت طوال عمري ولم أحصل على ما أريد، لم

أصل لأحلامي ولا عشت حياة أرتاح فيها» تنهدت بقوة: «لقد تعبت.. أقسم إنّني تعبت!»

شعر أندرياس بالشّفقة، ولم يملك الكلماتِ الكثيرة لمواساتها، ثمّ أمسك بها وجعلها تجلس على الأرض بجانبه، وبعد دقائق صمت تخلّله صوت الهواء وثرثرة السّكان قام بإشعال سيجارته وأخذت روبي تراقب الدخان المتصاعد للسماء.

«سأخبرك بقصة يا سنيوريتا، قد لا تعجبك ولكنها خطرت ببالي الآن..

سافرت ذات مرّة لأحد البلدان وجمعني القدر برجل في مقهًى شعبي وبسيط جدًّا، كان رجلًا ذا ملامح لينة، يتجمهر حوله الصغار والشباب ويستمعون لقصصه..

لقد كان يتحدث عن الحياة حينها وقال كلامًا لا أستطيع نسيانه حتّى اليوم، وصدقي أو لا تصدقي لم أقتنع به كليًّا بعد، ولكنّي ما أزال أفكّر به دائمًا وكلّ يومٍ تقريبًا، فقد لامس قلبي حقًّا».

نفث الدخان مجددًا وأخذ ينظر لسيجارته قليلًا قبل أن يقول:

«قال إنّنا لم نُخلق في هذه الحياة لنبقى ونحقق أحلامنا بل الهدف من وجودنا أعمق وأسمى من ذلك، نحن نولد ونعيش في زحام من النّعم الكبيرة وتلك التي قد لا نلقي لها بالًا، نعيش ونختار ما نريد فعله بهذه النعم، نختار الحزن أو السعادة أو التكيف وكلّ شيء! نسلك طرقًا مختلفة لتحقيق رغباتنا ولا يهمّ إن وصلنا أم لا فنحن لسنا مكلّفين بالوصول بل باختيار الطريق الصحيح والسعي فيه حتّى نرحل عن هذه الحياة...

لذا لا تقسي على نفسك، فهي قصيرة وفانية ولم تُوجد لتدوم وإلّا لما خلق الله الموت ولا الجنة والجحيم».

أطفأ أندرياس سيجارته على الأرض بينما تنهدت روبي تنهيدة طويلة وأسندت رأسها على الجدار خلفها.

«هذه قصة جيدة بالفعل.. جعلتني أعلم ما أريد حقًّا».

«وما الذي تريدينه يا سنيوريتا؟»

ابتسمت للسماء ابتسامة صغيرة ثمّ قالت: «أريد أن أختار راحتي، أريدك أن تجد لي أقرب رحلة، ولكن ليس إلى لندن بل إلى بلاكبول حيث ترعرعت مع والدي.. أريد أن أقضي ما تبقى من أيامي هناك، لا أريد الهرب بعد الآن بل أريد الخلاص».

«فهمت.. لكن إن غيرت رأيكِ فيمكنني أن أتحدّث للدّون مجددًا كي تبقي وأوفّر لك عملًا هنا، لن تكوني تحت جناحنا بشكل رسمي ولكن هذا حلّ وسطي، أو...»

«أو ماذا؟»

«يمكنكِ أن تصبحي واحدة منّا لو تزوجت أحدنا».

زفرت ضحكة رغمًا عنها، وكانت حزينة وساخرة في الوقت ذاته.

«ومن هم المرشّحون يا ترى؟»

هزّ كتفه وقال بتهكّم: «معظم الرجال الأرامل الطاعنين في السّن سيرغبون بالزواج بكِ حتى لو كنتِ أجنبية. سوف تصبحين ثرية وذات منصب! ومن الشباب هناك قريبي خوليو، سيفعل أي شيء ليتزوج من امرأة لا تسرق ماله أو تخونه. المسكين لديه حظٌّ سيئ مع النساء!

على كلّ حال، لو نشرت الخبر بين الرجال فسنجد لك زوجًا حتمًا يا سنيوريتا».

ابتسمت بمرارة، قبل أن تتنهد وتقول: «شكرًا ولكنّي لا أودّ بدء حياة جديدة أظلم فيها نفسي والرجل الذي سيتزوجني».

ضحك ضحكة خفيفة قبل أن ينظر إليها مليًّا: «ماذا عن.. بيتروفا؟ ألا يستطيع أن يساعدك؟»

لم تتغير ملامحها وهي تهمس: «لا أعلم من هو بيتروفا يا أندرياس.. صدّقني».

أومأ تاركًا النقاش في الأمر أكثر، ثمّ قال: «حسنًا.. لدي اقتراح أخير وهو أن تختبئي مع والدتي وجدتي في المزرعة ودون علمِ الدّون».

«كلانا يعرف أنّه سيعلم يا أندرياس».

«آي.. لن أخالفك في هذه الحقيقة».

«لا بأس.. أعني لقد اتخذت قراري وهذا المهمّ»

«سأحضر لكِ تذكرة الطيران فور أن تصلني».

«شكرًا..»

«لا أعلم ما إن كان يجب أن تشكريني على ذلك يا سنيوريتا».

ابتسمت ابتسامة دافئة وصغيرة ثمّ قالت: «أنت حقًّا طيّب القلب يا أندرياس.. هناك شيءٌ مميز بك وجعلني أتأقلم معك بسرعة».

ردّ بغرور: «لدي سحر لا يُقاوم! أنا مميز بالفعل وأفضل رجل في آل غارسيا».

«ويدُ الدّون اليمنى كذلك».

«آه لا لا هذا اللقب خاصٌ بـــ لورينزو».

«لورينزو؟ من يكون؟»

«كابوسي!»

«هل هو مخيف؟»

«أكثر من الدّون فيرناندو بالنسبة لي! يكنّ ولاءً كبيرًا له ولا يقبل أيّ كلمة سيئة عليه، ولو حضر ذلك الاجتماع فلكان نحر عنق 005 بمشرطه على الفور».

أومأت روبي عدة مرات فقط، ثمّ نهضت قائلةً: «يجدر بي الرّحيل.. شكرًا لك مجددًا»

ابتسم بإشفاق قائلًا: «العفو».

طأطأت رأسها وهبطت للأسفل عائدةً للشّقة لترى إيزابيل تفرغ محتويات حقائب التسوق وترتّب الأغراض.

«لا تزالين هنا.. ظننتك رحلتِ». استطردت: «اطلبي من أندرياس أن يجد لك شقة أخرى أو أيّ شيء».

«ولماذا؟»

«أنا أخطط للبقاء مع مارسيل وأحتاج إلى غرفة خاصة من أجل ملابسي وأغراضي، كما أنّني أخبرتكِ من قبل أنني لا أريدكِ هنا».

«صدّقيني، أنا أيضًا لا أودّ البقاء تحت سقفٍ واحد معكِ فغرورك يشغل مساحة كبيرة وضاقَ المكان.. ولا تقلقي، سوف أرحل قريبًا ويمكنك أن تحظي بمخلّفاتي... أوه، أقصد غرفتي المستعملة».

قلّبت ناظريها وتجاوزتها متّجهةً لغرفتها، أحكمت إقفال الباب واستلقت على فراشها لتنام مجددًا حيث لا يزال النّوم مهربًا مؤقّتًا لها من الواقع، ولكنّه لم يكن نومًا هانئًا أو طويلًا؛ فبعد ساعتين تقريبًا، أتى أندرياس للشقة وفتح له مارسيل -الذي كان قد عاد من الخارج- الباب.

تبادلا النّظرات للحظة قصيرة قبل أن يدخل قاصدًا غرفة روبي ومتجاهلًا إيزابيل التي تجلس على الأريكة وتشاهد التلفاز.

فتحت الباب بعد دقائق قليلة من طرقه، وتفرّس مارسيل في وجهها المتعب، ثمّ نظر إلى أندرياس الذي ناولها ظرفًا خاصًّا.

«تذكرة طيرانك، أقرب رحلة إلى بلاكبول في السّاعة الثانية فجرًا، ستكون هناك سيارة بانتظارك..»

أخذت الظّرف وحملقت به للحظات قبل أن تنظر إليه وتقول: «شكرًا جزيلًا».

أومأ أندرياس قبل أن يمسح على كتفها بلطف ويغادر وحينها نظرت إلى مارسيل قليلًا، ثمّ أغلقت الباب بهدوء فقط.

نقر على الطاولة بسبّابته ثلاث مرات قبل أن يتحرّك لتناديه إيزابيل: «إلى أين؟»

«للخارج».

«كلُّ شيءٍ جاهز يا سييل وفي وقت أبكر! أقترح أن تقوم بزيادة المال كبقشيش».

«هل يمكنك التحكم بها من مكانك؟»

«إنّهم أطفالي فبالطّبع أستطيع!»

«أريدك أن تتحكم بالدّفعة الأولى».

«سأكون شريكًا بهذا الشّكل وهذا سوف يكلّفك أكثر».

مارسيل ببرود: «حسنًا، حدّد سعرك من أجل نقرة زرّ».

زفر ميكي وفرك رأسه، ثمّ قال بتردّد: «يمكنك أن تدفع لي بإخباري عن مكان 013».

«وكيف لي أن أعلم؟»

«أنت تعلم كل شيء!»

«ألم تكن معكَ آخر مرّة؟»

ميكي بإحباط وتذمّر: «لقد تشاجرنا وانفصلنا؛ أعني هي من هجرني، وحياتي لم تعد ممتعة بعد الآن! أحبها وربما سأتزوجها وأبني لها بيت أحلام الدّمى كما تريد! آه كم هذا مرهق».

«ليس لدي أدنى اهتمام بحياتك العاطفية».

«أعطني اسمًا فقط. أرجوك فأنا لا أستطيع النوم... أعني يمكنني في الواقع ولكن لست مرتاحًا!»

تنهد مارسيل بضجر: «المالديف. سأنهي الاتصال».

جلست روبي على الفراش مجددًا، تحدّق بتذكرة الطيران لساعات بصمت ودون أن تشعر بالوقت الذي مرَّ، وكأنّ الزّمن توقف وأصاب السّكون كلّ شيءٍ حولها...

رفعت رأسها، مسحت على وجهها قبل أن تجرّ جسدها وتنهض لتحضر الحقيبة الرياضية، وتحزم قطع ملابسها القليلة ومتعلقاتها الشخصية.

ارتعش جسدها وانهمرت الدموع فجأة ودون سابق إنذار فاحتضنت نفسها وهمست: «لا بأس.. لا بأس.. سأكون بخير».

أخذت شهيقًا عميقًا وحبسته داخل صدرها. حبست كلَّ الهموم،

الحزن، الخوف والمعاناة، ثمّ أطلقت أنفاسها ببطء وكأنّها تطرد كلّ المشاعر السّلبية!

فتحت عينيها بعد أن بثت شعور الاستسلام والرضا لروحها، إلى أن وصلت لدرجة القبول والتسامح مع قدرها...

وعندما حان الوقت أخيرًا، تأمّلت الغرفة مرّة أخيرة قبل أن تحمل الحقيبة وتخرج لتجد الإضاءة خافتة، ومارسيل يسند نفسه إلى طاولة الطعام، عاقدًا ذراعيه وكأنّه كان ينتظر.

حدقا بعضهما ببعض قليلًا ثمّ قالت روبي: «كنت آمل أن أستطيع رؤيتك قبل رحيلي».

خفض ذراعيه عندما تشجعت واقتربت منه، وكان يدرس وجهها الذي تغيَّر عن السابق، وكيف أنّها تبدو مستسلمة وراضية رغم الحزن في عينيها!

«أريد إخبارك بشيء».

«أنا أستمع...»

«فكرت بالأمر كثيرًا، ولم أرد أن تكون آخر ذكرى تحفظها لي ونحن هكذا. أريد أن أودّعك بشكلٍ لائق وأخبرك أنّي لست غاضبة منك الآن بعد ما قلته وما فعلته، هذه اختياراتك وهذه الحياة التي تريدها، وأنا سأحترم ذلك وأبتعد عنك فمبادئنا مختلفة وطرقنا لا تتقاطع..

شكرًا على الرحلة الجنونية، وصلنا لنهايتها بحق وهذه آخر مرة نرى فيها بعضنا بعضًا، لذا.. وداعًا يا مارسيل».

مدت يدها فحدّق بها مطولًا قبل أن يرفع يده برويّة ويصافحها أيضًا، ثمّ انحلّ تشابك يديهما ببطء رغمًا عنه ورحلت روبي..

تركته يحدّق بالفراغ حيث كانت تقف، اختفت ورحلت أمام عينيه بالضّبط ولم يستطع فعل أيّ شيء.. هل هذه آخر ذكرى لها حقًّا؟

وكانت إيزابيل تراقبه خلسةً من خلف بابها حتى تفاجأت عندما اندفع للخارج! اختار أن يختبئ ويشاهد روبي مدة أطول، يشاهدها تغادر وكل جزء فيه يعاني من ألمٍ لا يعرف ماهيته مجددًا...

«ها هي ذي لحظة الوداع يا سنيوريتا».

«أجل.. الوداع يا أندرياس وشكرًا لك على كلّ شيء مجددًا».

مدت يدها فهمَّ ليقبّلها على خدها ويعانقها، لتخطو خطوة للخلف وتستمر بمد يدها وعلى وجهها ابتسامة ساخرة.

«ألن تودعيني على الطريقة اللاتينية؟»

«تقصد طريقتك! وإجابتي هي لا، لذا أسرع فيدي قد تعبت».

زفر أندرياس باستسلام ومدَّ يده مصافحًا: «سأشتاق إلى حسك الأجنبي».

رفعت ذقنها: «وأنا لن أشتاق إلى صوت غنائك المزعج أبدًا!»

ضحك قليلًا قبل أن يراقبها بوجهٍ مبتسم ويقول: «هل يمكنني إعطاؤكِ نصيحة وداع؟»

هزّت كتفها بهدوء: «حسنًا...؟»

«لا تحاولي السعي لرجل لا يحاول السعي إليكِ، ولا تخوضي حربًا من أجل رجلٍ لا يحارب نفسه لأجلك».

ابتسمت بمرارة: «ألا تظن أن الأوان قد فات لنصيحة كهذه؟»

«مَن يعلم من ستقابلين في وقتك المتبقي.. وداعًا يا سنيوريتا».

«وداعًا يا أندرياس».

صعدت روبي إلى السيارة بعد شهيقٍ استمدّت فيه شجاعتها، وكان مارسيل لا يزال يراقب كل شيءٍ وهو يحترق!

لا يريد أن تكون هذه آخر مرّة يراها فيها، يريدها أن تبقى، وإن لم ترغب بالعودة والبقاء فيريدها أن تأخذه معها على الأقل.. هو يرغب بها، ويرغب أن تكون خياره الأوّل!

والأهمُّ من ذلك أنّه يريد القوّة التي تفوق 005، القوّة التي تعطيه الحرية وتجعله قادرًا على اختيارها..

6 : سقوط آل بيرو

«مذكرتي العزيزة! أو عقلي هذه المرّة.. وصلت للمطار! لقد حان الوقت بالفعل، كلّ شيءٍ جاهز، ومعي رجلٌ ليتثبّت من صعودي للطائرة بسلام.

علمت أنّ الرحلة تستغرق أكثر من عشر ساعات.. ساعات سأقضيها بمشاهدة الأفلام والمسلسلات، وتناول الطعام والشراب في الدرجة الأولى التي حجزها لي أندرياس كبادرة أخيرة طيبة منه.

لن أفكّر بأي شيء خلال الرحلة، وسأستمتع بوقتي.. بالوقت المتبقي لي، حتى لو طال بعد الهبوط في بلاكبول. سأستمتع بكلّ لحظة لأنّ هذا أقلّ ما أستحقه قبل أن تجدني المنظمة..»

انتابت روبي مشاعر مختلطة وهي تمشي في الممر المؤدي للطائرة، وأخذت تتأمل سماء المكسيك للمرة الأخيرة حتى صعدت على متنها.

وضعت حقيبتها في المكان المخصص، ثم جلست على مقعدها وارتاحت في جلستها محدقةً بالنافذة تارةً وتستمع لضوضاء المسافرين تارةً أخرى، حتى أتى رجلٌ كبير في السن بملابس متواضعة برفقة المضيفة، وعلى ما يبدو أنه لم يعرف مكان مقعده في البداية.

«مقعدك هنا يا سيدي».

أجاب الرجل بالإسبانية وهو يفرك ذقنه: «شكرًا يا آنسة واعذريني».

جلس الرجل في المقعد الذي بجانب روبي وابتسم لها ملقيًا التحية لتبادله الابتسامة العفوية أيضًا وتراقبه قليلًا؛ فقد كان يفرك يديه ببنطاله كما لو كان متوترًا.

ربطوا أحزمة الأمان واستمعوا لترحيب الطيار ثم شاهدوا تعليمات الطائرة على الشاشة، وكان يركز جيدًا على كل تفصيل مما جعلها تبتسم بشفقة.

بدأت الطيارة بالإقلاع، فتمسَّك بيدي مقعده جيدًا وأخذ يتنفس بقوة لتلتفت روبي وتسأله: «هل تتحدث الإنجليزية؟»

التفت الرجل بتوتّر: «ماذا؟... آه أجل أجل!»

ارتاحت عندما فهمها، ثمّ سألت: «هل أحضر لك أي شيء؟ هل أنادي المضيفة؟»

«لا أنا متوتر قليلًا فقط».

«حسنًا إذًا، أغمض عينيك وحاول أن تتنفس بانتظام، ثم اشفط بطنك بقوة... الآن!»

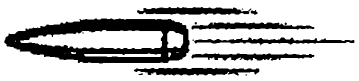

وخلال تلك الأثناء، كان مارسيل قد عاد للشقة، ورأته إيزابيل وهو يحضّر نفسه ويرتدي ثيابًا سوداء خاصة، لقد كان صامتًا كعادته ولكنها تشعر وترى بوضوح أن به خطبًا ما...!

«مهمّة؟»

«أجل».

اقتربت تلمس ذراعه وقالت: «يجب أن نتحدث قبل ذلك».

سحب ذراعه وتابع حزم أغراضه، ثم توقف قليلًا ليفكر وقال دون الالتفات إليها: «عندما قلتِ إنّك تحبينني.. ماذا يعني ذلك؟»

أجفلت إيزابيل، تفاجأت من سؤاله الغريب والذي جعل قلبها يضطرب..

«لماذا تسأل هذا السؤال فجأة؟»

«أجيبي فقط».

«سوف أجيبك إذا أجبتني أنت أولًا عن معنى كلامك بعد اعترافي.. ما المختلف؟ ماذا كنت تعني بذلك؟»

حدقا بعضهما ببعض قليلًا، ثم التفت مارسيل قائلًا: «سأتأخر.. لنتحدث عندما أعود».

ابتعد عنها وغادر الشقة تاركًا إياها في صدمة وحيرة، واتجه إلى أندرياس الذي يجلس وحيدًا إلى طاولة في الفناء وأمامه كأس لم يمسّه لكثرة تفكيره.

«هل الأسلحة التي طلبتها جاهزة؟»

«أجل، اتبعني».

اتجها للمستودع الخاصّ، وعرض رجلان الأسلحة على مارسيل الذي جرّب حملها واختبارها، ثمّ صرفهما أندرياس ووقف يحدق به ويراقبه حتى انتهى من اختيار ما يريد.

«إنها تثق بك.. أقصد روبي.

لقد سألتها عما إن كان بإمكاني الوثوق بك بما يتعلق بسلامة ابني وأمه، وأجابتني أنه يمكنني.

قالت إنك رجل يحب التحديات وإنك تنفذ المهمة كما يُطلب منك،

كما أخبرتني أن أقتلك وأقتلها إن لم يسر الأمر كما أشاء ولم تقل ذلك بحقد وإنما قالته وهي متيقنة أنني لن أستطيع قتلك».

ردّ مارسيل بعد لحظة صمت: «أوقف السيارات في المواقع التي حددتها».

وفي الطائرة، استقرت الأوضاع أخيرًا وقام الرجل العجوز بشكر روبي التي ابتسمت بتفاخر قائلةً: «لا عليك أيها السيد!»

«أنا آسف حقًّا، لم أركب طائرة منذ عشرين عامًا عشتها في المكسيك».

«أوه ولماذا أنت ذاهب إلى بلاكبول إذًا؟»

أخرج محفظته من جيبه ليريها صورة لفتاة:

«هذه ابنتي ميلاني وأنا ذاهبٌ لحضور حفل زفافها».

«آه مبارك!»

«وستكون أول مرة أقابل فيها زوجها وجهًا لوجه».

«تبدو منزعجًا، أليس رجلًا جيدًا؟»

«طبيب وحسن المظهر، لكني أبٌ وأقلق على ابنتي الوحيدة كثيرًا بالطبع!»

ابتسمت متذكرةً والدها: «هذا لطفٌ منك».

هزّ رأسه: «آه اعذري وقاحتي، اسمي فيليبي ديلغاو».

روبي مصافحةً: «روبي سميث».

وقفت المضيفة الرشيقة عند مقعديهما وقالت: «ماذا تودان أن تشربا؟ شايًا أو قهوة؟ أي شيء؟»

«شايًا من فضلك».

أومأت المضيفة بابتسامة ثم نظرت لروبي التي أشارت لفيليبي قائلةً: «سوف تعذر وقاحتي وغرابتي هذه المرة لأنني أود شرب تيكيلا باردة ممزوجة بالصودا وعصير الليمون مع قدر قليلٍ جدًّا من مشروب فيرموث الكحولي!»

«حاضر يا آنسة، سأعود في الحال مع طلبكما».

ابتسمت ثم نظرت إلى فيليبي المتعجب: «أنا في مزاج عالٍ للكحول لذا لا تأخذ عنِّي صورة سيئة يا عم فيليبي».

«لن أفعل فلا تقلقي».

عادتْ المضيفة بعد لحظات وشهقت روبي من مدى سرعتها: «أنتم سريعون حقًّا!»

المضيفة بابتسامة وهي تسكب الشاي لفيليبي: «لست أول ضيف يطلب ذلك الخليط. يبدو مميزًا للعديد من الضيوف الذين قد سافروا على خطوطنا لذا نحرص على تقديمه بسرعة وباردًا».

تمتمت روبي بسخرية: «لن أحزر من».

حدقت بالكأس المزيَّن بقطعة الليمون الخضراء الطازجة وقد كان يبدو منعشًا حقًّا، ثم ارتشفت منه رشفة وانكمشت عضلات وجهها.

همست: «سحقًا لذلك الأندرياس! كان محقًّا.. هذا الشيء قنبلة في الفم».

نظرت إلى فيليبي المبتسم بلطف وقالت: «أنا حقًّا آسفة، يبدو أني سأكون رفيقة السفر المزعجة!»

«على الإطلاق! أنت تذكرينني بابنتي نوعًا ما وعليَّ أن أعترف أنني

معجب بمزاجك الاحتفالي في هذا الوقت. آه ألا ليت الشباب يعود يومًا».

«صدقني إنه ليس مزاجًا احتفاليًّا بل أقرب لكونه عزاءً، وشبابي الذي تراه سوف ينتهي قريبًا. لا زهرة شباب ولا شجرة حتى!»

ارتشفت رشفة أخرى بينما هو ينظر إليها باستغراب: «ما الذي تقصدينه؟»

«أوه.. أنا...»

«يا إلهي، هل تراودك أفكارٌ انتحارية يا ترى؟ لا تقوليها!»

«لا لا لا الأمر.. معقد فقط».

قالت آخر جملة بحزن ليضع فيليبي يده على كتفها ويقول بنبرة مهتمة: «هل أنتِ بخير يا روبي؟»

«أنا بخير»

«ولكنك لا تبدين كذلك، هل ترغبين بالحديث؟»

«الأمر معقد كما قلت لك».

«لا يهم أن أفهمه، ما يهم هو أن تتحدثي وتفضفضي لشخصٍ حتى تكون العملية سهلة».

ضحكت: «أنا لا أنوي قتل نفسي فأرح دماغك!»

قال بنبرة ساخرة: «كما تشائين! ولكن أنا مستعد لسماعك يا رفيقة السفر لو أردتِ ذلك ويمكنك سماع حديثي عن ابنتي المتمردة!»

ضحكت معه، ثم تنهدت تنهيدة طويلة: «لا أعلم كيف أبدأ وبماذا أخبرك».

«هممم لنبدأ بلماذا أنتِ ذاهبة إلى بلاكبول، سؤالك نفسه لي».

صمتت للحظة تفكر فيها، ثم نظرت إلى فيليبي وقالت: «ستحتاج إلى أكثر من كوب شاي واحد».

«حقًّا؟»

ارتشفت من مشروبها، ثم زفرت: «لنقل إنني عائدة إلى بلاكبول بعد قصة حب فاشلة».

«آه.. سنحتاج إلى الكثير من الشاي والكحول بالفعل!»

وحيث منطقة آل بيرو، يحظى الجميع بوقتٍ ممتع على الشاطئ وآخرون ينعمون بشتى الخدمات والأنشطة المختلفة، إما في بيوتهم أو في مراكز خاصة، وكانت لورينا مع ابنها في جناح والدتها التي تحتسي القهوة السوداء وتتصفح الأخبار على جهازها اللوحي حتى وردها اتصال فأجابته لتسمع أصوات اهتياج!

«ما الذي يحدث؟»

«سيدتي! لقد وقع انفجار في المصنع واحترقت البضاعة!»

وقفت هاتفةً بغضب: «ماذا!؟ كيف حدث ذلك؟»

نظرت إلى الهاتف لتجد متصلًا آخر فأجابت لتسمع ضوضاء أخرى لم تفهمها، وقُطِع الاتصال على الفور، ثمّ هرع أحد مساعديها للجناح مع بقية الرجال لتصرخ بهم: «ما الذي يجري؟»

«لقد انفجرت مصانعنا الثلاثة! لم نحدِّد عدد الوفيات بعد، ولكنَّ هناك عمالًا يعانون من إصابات بليغة وحرجة!»

«كيف لها أن تنفجر في الوقت ذاته؟ هل رأيتم أيَّ أحدٍ غريب!؟»

هتف أندريه بصوته الطفولي: «ماما ماما إنها المروحية مجددًا والكثير الكثير!»

احتضنت لورينا ابنها وهي تراقب من الإطلالة الزجاجية، واقتربت والدتها الغاضبة لترى العدد الهائل من الطائرات المروحية التي تقترب من المنطقة، كما لو كانت سربًا من الطيور!

لقد كانوا مجموعة كبيرة بألوانٍ تقتصر على الأحمر، الأزرق والأصفر، ثم انعطف بعضها واصطدم بالبناء المجاور مسببين انفجارًا أفزع الناس! وتوالت بعدها الانفجارات المتتالية في المباني الأخرى حيث تصطدم، ولقد كانت المروحيات الحمراء تسبب انفجارات أقوى من الزرقاء بينما الصفراء أضعفها وهبط معظمها على الأرض من أجل ترويع الناس فقط بانفجارات بسيطة وجعلهم يتفرّقون ويهربون.

حملقت كاستيلا بعينين متسعتين إلى المجموعة الصفراء التي تقترب من برجها ومن إطلالتها الزجاجية بالتحديد، واحتضنت لورينا ابنها بخوف وترقّب، لكن الطائرات توقفت فجأة قبل أن ترتطم بالنافذة، ثم هوت جميعها دفعة واحدة وتفجرت في الهواء بشكل مهيب عدا واحدة اقتربت وارتطمت بالزجاج، لكن انفجارها لم يكن كفيلًا بتحطيمه أبدًا، بل بثّ الرعب في قلوب من بالجناح، والذهول في قلوب المراقبين -عن بعد- من آل كورتيز!

هتفت كاستيلا: «اعثروا على مسبّب هذه الفوضى!»

«سيدتي، رافقينا لمكان آمن من فضلك!»

«لن أهرب إلى أي مكان، فلتحل اللعنة على الذي يحاول إرعابي! سأبقى هنا وحصنوا أنتم المكان. اقتلوا أيَّ أحدٍ مريب!»

«حاضر!»

نظرت إلى لورينا الخائفة وقالت: «وأنتما ستبقيان معي! لو كانوا رجال فيرناندو، فسأستعمل ابنك كدرع»

دمعت عينا لورينا بحقد، بينما وقفت كاستيلا على أعصابها وأخذت تدخن وتحدق بمنطقتها المحمية وهي تتدمر أمام عينيها، ثم قُطعت الكهرباء في البرج كله، وهذا كان إعلانًا من 005 أن حفلة الانفجارات قد انتهت وحان وقت حفلة الرصاص...

كانت روبي لا تزال تتذمر وتتجاذب أطراف الحديث مع فيليبي بقصة ملفقة تحاكي واقعها الأصلي مع مارسيل، واندمجت مع القصة فعلًا وكأنها حقيقية، وكان هو يلوم المشروب على ذلك.

«أحببته رغم أنه خريج سجون وذو سوابق بسرقة المتاجر وبيع الحشيش!»

«وماذا قال بعد اعترافك له؟»

«آه سحقًا له! الخسيس قال إنها الحقيقة فقط! هو لا يهتم بي ولا ينوي أن يتغير! هل تصدق ذلك يا عم فيليبي؟ بعد كل الذي فعلته من أجله وإيماني القوي أنني أستطيع تغييره».

«سحقًا له بالفعل!».

زفرت بدرامية: «إضافةً لهذا كلّه هناك امرأة أخرى في حياته!»

«آه... أنا آسف».

«لقد أحببته.. ولهذا أردت تغييره، أن أريه أن هناك خيرًا في داخله، وأنّ له إرادة حرة ليختار ويعيش بطريقة أخرى. أردته أن يحبني.. حاولتُ الولوج إلى قلبه حقًّا».

«ولكنك لم تجدي سوى السواد».

تنهدت: «أجل.. لا شيء سوى السواد»

فيليبي بعد أن ارتشف من كوبه: «هذا المتوقع من 005 فهكذا ربيته».

توقف الزمن بروبي وتجمدت مثله، وكأنها تحاول أن تستوعب ما سمعته للتو، ثم التفتت بملامح مستنكرة إلى فيليبي الذي وضع كوب الشاي ثم نظر لها بابتسامة جعلتها تنظر إليه بصدمة وريبة!

«مـ.. كيف...؟»

«أنتِ تقتربين من الإجابة الفعلية، يمكنني رؤية ذلك في عينيكِ.. مَن أنا برأيك؟

ألم يذكرني 005 لكِ من قبل ويتحدث عن ماضينا الجميل؟»

التقطت نفسها المضطرب ليبتسم ابتسامة مخيفة:

«لقد توصلتِ للإجابة، صحيح؟»

«أنت.. جاريد».

«ممتاز يا روبي! ذكية جدًّا».

ابتلعت ريقها وسيطرت على رجفة قلبها ثم نظرت إليه باستنكار: «ما الذي تفعله هنا؟ هل.. أنت هنا لقتلي؟»

ضحك جاريد برقة مرعبة: «قتلك؟ لا! نحن رفيقا سفر كما ترين وندردش فقط. استمعت إلى ثرثرتك لساعات وعليَّ أن أعترف أنكِ أثرت إعجابي كثيرًا».

حملقت بوجهه بصمت وحدّة، فابتسم لها قائلًا: «هل أنت تقارنين ما ترينه حاليًّا بالصورة التي كونتها في دماغك مسبقًا؟»

«ما الذي تريده منِّي؟»

«كنت أنوي إعطاءك ساعة أخرى لتتحدثي، ولكنني لم أستطع الانتظار أكثر لأرى ردة فعلك».

قال جملته الأخيرة وهو يداعب خدها وشعرها بأطراف أصابعه، ارتعش جسدها قليلًا من لمسته الباردة، لكنها لم تكن خائفة منه بقدر ما هي غاضبة وحاقدة.. فهو الرجل الذي حوَّل مارسيل لما هو عليه الآن. الرجل الذي عذّبه!

«أنتِ مثيرة للاهتمام حقًّا.. لقد استمتعت وأنا أتحرى حول خلفيتك ووجدت معلومات مثيرة أيضًا، مثل هويتك الحقيقية».

سألت ببرود: «هل تعلم مَن أنا؟»

«بياتريس والش أو بالأصح لو أخذنا لقب والدك البيولوجي في عين الاعتبار فسوف يكون بياتريس أومالي.. ويبدو أنك تعرفين».

«لقد أخبرني مارسيل بقصتي وأنّي فقدت الذاكرة..»

«أخبريني إذًا كيف هو شعور أن يكون لديك ثلاثة آباء؟ أحدهم رجل أعمال متوحش والآخر عامل بناء وخريج سجون، بينما الحقيقي رجل ريفي بسيط».

«ماذا؟»

جاريد بتهكّم: «ألم يخبرك؟»

«لم أسأله».

«على كل حال أظن أنه يعرف ذلك أيضًا، ولكن لا أظن أنه وصل للمدى المثير الذي وصلت إليه، حتى ذلك المتعلّق بوالدتك بِلينا أورلوف».

عقدت حاجبيها: «لم.. يكن هذا اسم والدتي».

«بالضبط! خلفيتها مثيرة للإعجاب مثلك... لكن دعينا منها الآن ولنتحدث عن اكتشاف آخر اكتشفته ولا أظنّ أنّ 005 يعرفه بعد.. كبداية أعلم أنّ من أنقذك هو بيتروڤا».

اتسعت عيناها في صدمة فتابع: «ولكن السؤال الأهمّ، هل تعلمين أنتِ من هو بيتروڤا؟ هل تعرفين الهوية الحقيقية للمدعوّ نيل؟»

ارتجف قلب روبي المصدومة، ورأت صورة نيل داخل رأسها وهي تتلطّخ بالدّماء.. هذا الرجل خطير! خطير جدًّا!

همست بصوت مرتعش: «ما الذي تعرفه؟»

«اسمه الحقيقي هو نايجل والده البيولوجي هو جوناثان والش، عانى من طفولة قاسية أدَّت إلى انتحار والدته وهو صبي صغير، ثم كبر واعتنق أفكار السلام والعالم ليصبح بيتروڤا الحالي.. ولا تقلقي أنتما لستما أخوين بالطبع ولكن سأقولها مجددًا، لديكِ خلفية مثيرة للإعجاب حقًّا!»

ضاعت كلّ كلماتها للحظة من الزّمن، ثمّ وجدت صوتها مجددًا وقالت: «كيف عرفت كل هذا؟»

«سرّ المهنة.. ولعلمك أنا لا أهتم لبيتروڤا أو حكومة العالم وبقية الصراعات، فهي مجرد سخافة بالنسبة لي».

«ماذا إذًا؟ ما الذي تريده!؟»

«أهتم لـ005 فقط، سأعاقبه عقوبة كنت أنتظرها منذ زمن طويل».

ترقرقت عيناها بالدموع فهز رأسه ومسحها لها وهو يزيف الاهتمام.

«آه لا.. لا تبكي يا روبي».

«لا تمسّه بسوء.. أرجوك!»

«يجب عليّ ذلك، فلقد بهرني حقًّا ويستحق مكافأة وعقوبة في الوقت ذاته، خططه أمتعتني الفترة الأخيرة وأريد أن أبتلع طعمه وأجاريه».

أمال رأسه قليلًا: «ألم تدركي ما هو مخططه بعد؟ لماذا تركك حية، أخذك وحرص على إبرازك أمام الجميع، لماذا قتل شقيقتي وتورط مع الحكومة ولماذا ذهب للمكسيك بالتحديد.. إنّه يحدث الفوضى عمدًا حتّى يجذب انتباهي ويجبرني على الخروج ومواجهته وهذا ما سأفعله، لكنّي سأفاجئه أيضًا وأثبت له أنّي متقدم بخطوة دائمًا!»

همست بصوتٍ باكٍ: «ما الذي ستفعله به؟»

«سأعاقبه بأكثر شيءٍ يريده في هذه الحياة».

هزّت رأسها والدموع تتساقط من عينيها: «أرجوك.. هو لا يستحقّ ذلك أرجوك اتركه وشأنه».

جاريد وهو يمسح على خدها: «أوه يا عزيزتي.. أنتِ تحبينه حقًّا ها؟ ولكنّ حبك ليس كافيًا لتغييره.

جعلتُه هكذا، وسأجعله يصل لدرجة الجنون المطلق.. وأنتِ ستشهدين كل شيء!»

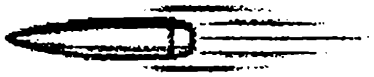

تستمر حفلة الرصاص والمتفجرات بين مارسيل ورجال كاستيلا الذين سقطوا وهُزِموا، عاجزين عن قتله في الظّلام أو الضوء!

«كيف لرجل واحد أن يفعل كل ذلك أيها الحمقى!؟ اقبضوا عليه فورًا!»

انقطع الاتصال مجددًا وعلا صوت الرصاص أكثر مثل بكاء أندريه الخائف في حضن والدته! استلت كاستيلا سلاحها ودفعت بهما خلفها

مستقبلة الباب، مستعدة لتطلق النار على أي أحد يدخل للجناح حتّى لو كان من تابعيها.

استمر صوت الرصاص المرعب وقنابل الجرانيت الصغيرة بالاقتراب من موقعهم، وانهمرت دموع لورينا بخوف على حياتها وحياة ابنها الذي لن تتردد والدتها بالتضحية به لو كان القادم من آل كورتيز!

ثم هدأت الأصوات أخيرًا، والصمت جعل كاستيلا تتوتر وتترقّب، وحينها ألقى مارسيل قبل دخوله بثلاث قنابل دخان لتطلق هي النار دون تردّد، كما انتشلت أندريه من حضن والدته قبل تفشي الدخان لتصرخ ابنتها وتحاول التحرك لولا تجمدها مكانها بسبب إطلاق والدتها النار بشكل عشوائي.

صرخت لورينا: «أندريه! أمي اتركيه أرجوك! أندريه أين أنت!؟»

سدت كاستيلا فم أندريه الباكي بغضب وبقيت تراقب عبر الدخان منتظرة ظهور مارسيل وإطلاق النار عليه على الفور!

«أظهر نفسك ولا تكن جبانًا! إن كنت رجلًا وأتيتَ لقتلي فافعلها وأنت تنظر إلى عينيَّ!»

تراجعت خطوة للخلف وعيناها تنتقلان في الأرجاء حتّى تجمدت عندما شعرت بفوهة السلاح خلف رأسها!

قال ببرود: «اتركي الصبي».

رفعت ذقنها قائلةً: «أرني وجهك أولًا».

«لا داعي.. فأنا لست رجلًا».

«ما أنت إذًا؟»

«أداة قتل».

أطلق النار بكاتم الصوت بعد إجابته فورًا وأمسك الصبي قبل أن تهوي جثة كاستيلا على الأرض، كما صرخت لورينا بحرقة وفزع عندما بكى ابنها مجددًا ظنًّا منها أن مكروهًا قد أصابه.

ثم أعاد مارسيل ابنها لحضنها وأمرهما أن يتحركا! ولم تناقش لورينا أو تقل أي شيء، اختارت أن توفّر الأسئلة لوقتٍ لاحق وتتركه يقودهما لسطح البرج.

أغلق باب السطح بإحكام وحينها استطاعت أن ترى وجهه أخيرًا بعد أن خلع كمامته وهمَّ بتحضير مظلته الشراعية

«مَن أنت!؟»

«قاتل مستأجر، والآن البسي هذه الأحزمة وثبتي ابنك أيضًا.. بسرعة».

«هل قتلتها؟»

مارسيل وهو يحضّر نفسه: «أجل. كانت تخنق ابنك بيدها، تحققي من سلامته وانتحبي عليها لاحقًا».

زفرت لورينا بأسًى ووفرت الأسئلة مجدَّدًا كي تلبس الأحزمة وتثبّت أندريه الذي يحدق ببراءة إلى مارسيل، ثم نظرت إلى الأفق بأعصابٍ مشدودة:

«هل أنت واثق مما تفعله؟»

اقترب من خلفها وشبَّك أحزمتها بحزامه ثم قال: «أجل.. سأعد حتّى الثلاثة ثم نركض معًا لذا ثبتي ابنك جيدًا».

أومأت بفهم وطمأنت ابنها، ثمّ ركضت بعد العدّ بكل شجاعة وهي تمسكه بقوة. أغمضت عينيها عندما رأت الهاوية، وشهقت عندما شعرت

بجسدها يندفع ويطير في الهواء لترى السماء والأرض التي اعتادت أن تكون مملكة والدتها تتدمّر!

شعرت بالخوف أولًا، ثم بالحزن والأسى، وأخيرًا براحة لكونها تحررت من سجن والدتها المتجبّرة التي أعماها الطمع بالقوّة والسيطرة حتى قادها لحتفها..

أندريه بسعادة: «ماما نحن نطير!»

قبّلت خدَّه محكمة الخناق عليه، وكان مارسيل يتحكم بالمظلة بتركيز ويوجهها إلى وجهته المحددة، ثمّ وقعت عيناه على الصبي الذي رفع رأسه بالقوة ونظر إليه من فوق كتف والدته.

كان ينظر إليه بعيني الإعجاب والانبهار بينما هو ينظر له بلا مشاعر محددة، وحدقا بعضهما ببعض مطولًا دون سبب وجيه! ثم خبَّأ أندريه وجهه في عنق والدته قليلًا قبل أن يرفعه وينظر له مجددًا بابتسامة، وهنا علم مارسيل لماذا يحدق بهذا الطفل مطولًا.

البراءة في عينيه ذكّرته بالبراءة في عيني روبي، العينين اللتين تنزعج من لونهما.. وأوّل ما جذبه إليها!

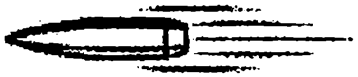

اقتربوا من سطح الأرض وهبطوا بسلاسة في الموقع الذي حدده، ثم تبعاه إلى السيارة التي طلبها من أندرياس، ولم تكن هذه السيارة الوحيدة أو الموقع الوحيد الذي كان يخطط للهبوط فيه، فقد خطط جيدًا لأي عَرَضٍ قد يحول بينه وبين الهبوط، لذا اختار عدة مواقع من باب الاحتياط.

استقلوا السيارة المخبأة وانطلق بهما إلى حيث أندرياس الذي يفترسه

القلق مع سماعه ومشاهدته للأخبار عبر الجهاز اللوحي، وكانت إيزابيل تراقب عبر النافذة بصمت حتى اندفع رجلٌ معلمًا إيّاه أن 005 قد عاد!

أسرع بالخروج وركض إلى حيث مواقف السيارات ليرى السيارة تركن جانبًا. توقف قلبه عندما رأى مارسيل يترجل بمفرده من السيارة ثم عادت إليه الحياة عندما ترجلت لورينا وهي تحمل ابنه.

تعجب الرجال مما يرونه، لم يصدقوا أن 005 قد نجح وتمكّن من العودة بعد الدمار الذي رأوه، وركض أندرياس متجاوزًا إيّاه إلى لورينا التي عانقته وهي تبكي.

قبّل رأسها وتفقدها ثم احتضن ابنه وقبّله بقوة وهو يمسك دموعه قدر الإمكان أمام الرّجال.

«بابا!»

«هلْ أنتما بخير؟»

لورينا: «أجل...»

«آه حمدًا لله»

احتضنهما معًا مجددًا، وزفر ليهدّئ نفسه، وحينها قال أندريه: «بابا لقد طرنا! مع ذلك الرجل!»

مسح على وجه ابنه وهو يتأمّله ثمّ ابتسم رغم دموعه المحبوسة قائلًا: «حقًّا؟ وكيف كان الأمر؟»

«مذهلًا جدًّا!»

أومأ، ثمّ نظر إلى لورينا التي تبتسم بحزن: «لقد انتهى الأمر. أمي...»

هزّت رأسها فاحتضنها مجددًا وكأنّه يقدم تعازيه، على الرغم من حقيقة والدتها وكل الإجرام الذي ارتكبته بحقهما.

«مَن ذلك الرجل؟ هل هو معكم؟»

«لنذهب للداخل وسأخبرك بكل شيء بعد أن ترتاحا قليلًا».

عاد مارسيل إلى الشقة واحتضنته إيزابيل على الفور بينما هو متجمد مكانه، يحدّق بغرفة روبي الفارغة ولا يستطيع سوى أن يفكّر بها.

مسحت على وجهه وهو ما يزال شارد الذهن: «هل كلّ هذه الدماء لك؟ أجبني!»

«أريد أن أستحم وأنام.. لا تزعجيني».

ابتعد عنها ووضع أغراضه على الطاولة قبل أن يتجه للحمّام مغلقًا الباب بالمفتاح في إشارة تأكيدية لإيزابيل ألا تزعجه بالفعل. عرَّض جسده للمياه التي أرخت أعصابه وغسلت الدماء والقذارة عنه، وودَّ لو أنه يبقى هكذا لوقت طويلٍ جدًّا حتى يتمكن الماء من التغلغل لقلبه المتألّم وروحه المحترقة..

وبينما كان في دورة المياه، طنَّ هاتفه برسالة فاقتربت إيزابيل التي ما زالت تنتظره كي تراها، لقد كانت من رقمٍ مميز وغير مسجل فدفعها الفضول لفتح الصورة المرسلة، وشهقت مغلقةً فمها فورًا عندما رأت جاريد يبتسم بجانب روبي العابسة في الصورة!

وضعت لورينا ابنها النائم على الفراش وخرجت إلى أندرياس الذي انتهى لتوّه من محادثة الدّون وإعلامه بما حدث حتّى يعطيه أوامره التالية.

«هل نام أندريه؟»

«أجل.. لقد كان يسأل عمّا حدث اليوم ويظنّ أنّنا كنّا نمثل فيلمًا».

اقترب أندرياس منها ومسح على جانب رأسها قائلًا: «سيفهم يومًا ما».

لمست مكان إصابته وتأمّلتها للحظات قبل أن تهمس: «لقد خفت كثيرًا عندما أرسلت أمي رجالها هنا ذلك اليوم. أنا آسفة، فهي فعلت ذلك بسببي.. لأنني جعلتك ترى أندريه سرًّا».

«لا داعي لهذا الكلام، ولا تلومي نفسك، لقد انتهى كل شيء الآن وسنكون بخير.. معًا».

تنهدت وهي تفهم ما يعنيه: «أندرياس...»

لمس وجهها متوسلًا: «دعينا نتزوج».

«لن ينجح هذا الزواج».

«ولمَ لا!؟ أنا أحبك وأنتِ تحبينني، لدينا ابن! لا أريدكما أن تبتعدا عنّي مجددًا، لنعد بعضنا لبعض مثل الأيام الخوالي».

«لا...»

«لـماذا؟»

«أنت تعرض علي الزواج بسبب ما حدث، ولكن أمي ماتت يا أندرياس».

هزّ رأسه: «لا لا.. أنا أحبك وأنتِ تعلمين ذلك!»

«ما كان بيننا مجرد حبّ طائش، استمررنا به عنادًا في أمي، وحتى حملي بأندريه كان عنادًا!

ولادته أيقظتني وجعلتني أرى الحقيقة، وأشعر بشعورٍ مريعٍ لكنني لا أريد ظلمه ولا ظلمك.. أنا أحبُّه وأحبّك يا أندرياس ولكن ليس كما تريد أنت».

خفض رأسه وتنهد بإحباط لتواسيه لورينا، لكنه ابتعد عنها رافضًا هذه المواساة المشفقة، وأخبرها أن ترتاح ريثما يذهب هو ويستنشق بعض الهواء.

خرج مارسيل لاحقًا ليرى إيزابيل نائمةً على فراشه، أو بالأحرى تدّعي النوم فالتقط ملابسه وغادر الغرفة بهدوء ليرتديها.

تفقد الوقت على هاتفه الذي لم يُظهر له أيَّ إشعار أو رسالة، ثم زاغت عيناه بتعبٍ وتنهَّد تنهيدة طويلة قبل أن ينظر إلى غرفة روبي مجددًا ويقرر دخولها!

استلقى في فراشها، يتأمل سقف غرفتها بصمت وكأنه يحاول حفرَ صورتها هناك، ثم التفت برأسه يمينًا ورآها نائمة بجانبه، تمامًا كما كانت في الجزيرة...

عدّل جسده ببطءٍ وهو يراقب خيالها، ثم مدَّ يده ليلمس ذلك الخيال فاختفى وتبخر في الهواء!

تذكر صوتها وهي تقول: «ألّا تكون قادرًا على أن ترى من تحبه أمامك، تسمع صوته أو تلمسه، تعانقه أو تتحدث إليه وتضحك معه.. صعب ويفطر القلب».

أغمض عينيه وتنفَّس رائحتها التي علقت بالوسادة، ثمّ همس: «إنه الاشتياق فعلًا.. أنا أشتاق إليها».

7: أنا أومن بك

بحر أحمر..

يقف مارسيل على سطحه ويدرك أنه في حُلم لكنه لا يستطيع الاستيقاظ منه، ثم تسحبه يد وتغرقه للأسفل حيث تزداد حدة اللون الأحمر وتتفشى رائحة الدم أكثر فأكثر!

تزداد الأيادي التي تسحبه وكلها من ضحاياه الذين يتذكر وجوههم وأسماءهم جميعًا، يتذكّر كيف قتلهم، آخر كلماتهم وآخر وجه رسموه. لا يستطيع أن ينسى أو يتناسى..

«مارسيل!»

صرخت روبي واختفت كل الأيادي التي كانت تسحبه وبات بإمكانه الوقوف، ثم تلفَّت باحثًا عنها في الظلام بيأس حتى وجد نورًا بعيدًا في الأفق.

ركض وركض، وكان ذلك الضوء يبتعد كلما اقترب منه، لكنه لم يتوقف واستمر بالركض بأنفاسٍ متقطعة حتى خرج للنور ليرى روبي تغرق بدمائها على الأرض.. أمام جاريد!

شهق واستيقظ فزعًا، يرتعش، يلهث بقوة ويغطي وجهه! واستيقظت إيزابيل بجانبه فزعة هي الأخرى، تمسك به وتحاول تهدئته.

«ما بك؟ هل رأيت كابوسًا؟»

أبعدها عنه ونهض قائلًا بغضب: «ما الذي تفعلينه هنا؟ لماذا أنت نائمة بجانبي؟»

نهضت إيزابيل المصدومة ثمّ قالت بحزن: «لا يهمّ... عد للنوم فلقد نمتَ لساعتين فقط وتحتاج إلى الراحة».

هتف بنبرة منفعلة: «ابتعدي عني!»

أجفلت إيزابيل ولحقت به خارج غرفة روبي، وقد كان لا يزال يحاول تمالك نفسه وتنظيم أنفاسه لكن دون فائدة!

«ما الذي يحدث لك؟»

ضغط على عينيه بقوة وأخذ يحاول طردَ تلك الصورة الدموية من رأسه ولكنّه لم يستطع! ثم رفع رأسه وتنهد تنهيدة طويلة قبل أن يلتفت ويتجه إلى غرفته ليحزم ما يحتاج إليه بسرعة أمام إيزابيل التي لم تستطع تمالك حزنها أكثر.

رفعت صوتها وكرّرت سؤالها: «ما الذي يحدث لك؟ إلى أين تنوي الذهاب؟ أجبني!»

توقف والتقط أنفاسه بهدوء ثمّ أجاب: «إلى بلاكبول».

«بسببها!؟»

«أجل».

هتفت باستنكار: «لماذا؟»

شرد بذهنه قائلًا: «أنا.. أشتاق إليها وأرغب برؤيتها».

اتسعت عيناها الدامعتان وشدت قميصهُ معترضةً: «لا لا لا أنت مخطئ! أنت لا تستطيع أن تشتاق، لم تتعلم ذلك!»

همس: «توقفي..»

«لا! أنت لست هكذا.. أنت أداة ولا يفترض بك أن تشعر بمشاعر كهذه، عُد إلى رشدك يا مارسيل أرجوك!»

«لماذا؟»

«لأن هذه المشاعر يجب أن تكون لي وليس لها! أنا مَن كنت معك قبلها. أنا أحببتك قبلها، لذا لا ترحل وتتركني أرجوك!» همست: «لا تذهب إليها.. سوف يقتلك».

عقد حاجبيه في شك وأمسك بذراعيها: «ما الذي تقصدينه؟»

ذرفت إيزابيل الدموع فهزها بانفعال وكرر سؤاله مجددًا لتقول بصوتٍ أهدأ: «جاريد.. أرسل صورة لهاتفك بينما كنت تستحم وحذفتها».

«أيَّ صورة!؟»

«صورة له وهو مع روبي، كانا على متن الطائرة».

تركها مارسيل وفتح هاتفه ليبحث عن أي شيء وقد كان يدور حول نفسه، على وشك أن يفقد أعصابه.

«هل تذكرين الرقم؟ هل هناك تفاصيل أخرى في الصورة أو أي شيء؟ هل كانت بخير؟!»

هزّت رأسها وهمست: «ما الذي حدث لك؟»

«لا تختبري صبري وأجيبي فورًا!»

دفعت ذراعيه عنها: «أتذكر الرقم وسأخبرك به عندما تجيب عن أسئلتي!»

زفر مهدئًا أعصابه ثم قال ببرود: «ما أسئلتك؟ بسرعة.»

«هل ستذهب الآن لجاريد أم لها؟»

أجاب دون تردُّد: «إلى الاثنين».

سألت بغصة: «هل هي مهمة بالنسبة إليك لهذه الدرجة؟»

«هذا يكفي».

«أجب فقط».

«لا أعلم.. لا أعلم كيف أحدِّد ذلكِ بعد!»

أطبقت شفتيها وهي حزينة، لا تصدِّق ما يحدث، لا تصدّق التغير المفاجئ الذي أصابه بسبب امرأة عادية..

«أنا أحببتك قبلها وقبِلتك كما أنت، لم أرد تغيير أي شيء بك! كنت مثاليًّا وكل ما أردتُه، وكنتُ مستعدة للبقاء معك حتى لو لم تحبني... لذا لماذا هي؟»

أجاب بنبرة هادئة: «هذا الفرق.. هي تريد تغييري. تتحدى كياني وترغمني على التغيُّر ورؤية أشياء لا أراها و... أريد أن أرى إلى أين ستصل. أريد رؤيتها مجددًا».

فرَّت دموع إيزابيل مع تنهيدة استسلام وانكسار، ثم رفعت عينيها وقالت: «آخر سؤال.. قلت ذات مرة إنني مهمة بالنسبة إليك؟ ماذا كنت تقصد؟ ما أهميتي لك عدا المعلومات؟»

«كنتِ مجرد إلهاء».

أومأت فقط ونطقت بالرقم الذي حفظَه مارسيل من مرة واحدة وسجله بسرعة وهو يهمّ بالخروج، ثمّ التفتت كي لا تراه وحينها قال: «أنا آسف...»

«لماذا تعتذر؟»

«شعرت أنها الكلمة المناسبة لتُقال».

«ارحل فقط».

تحملت وكبحت حزنها حتى لم تعد تستطيع سماع خطواته وحينها انهارت تبكي على الأرض، وكانت هذه المرة الثانية التي تبكي فيها هكذا بعد مقتل والدتها وأخيها.

همَّ مارسيل بمغادرة المبنى فإذا بأندرياس وبيده سيجارة أخرى يعترض طريقه، وبدا وجهه مكتئبًا ومهمومًا إلى حدٍّ كبير...

«إلى أين؟»

«سأذهب إلى بلاكبول، يمكنك إبلاغ الدون بذلك. سيصله موقع ابنه قريبًا».

حدّق به قليلًا ثمّ سأل: «روبي؟»

«أجل».

تنهَّد تنهيدة طويلة: «الحق بي».

هبطا معًا ومشيا معًا بشكل طبيعي لمواقف السيارات، وحينها أشعل أندرياس سيجارته بجانب سيارته وقال:

«لقد أمر الدّون فيرناندو أن نبقيك في المجمّع حتّى بعد إخبارنا بموقع بيدرو، يريد قتلك مع جاريد... لم يكن ليضمّك إلينا».

«أعرف.. منذ البداية».

عقد أندرياس حاجبيه وزفر سحابة الدخان، ثمّ تأمّله للحظة قبل أن يقول مستنكرًا: «لماذا كلّ هذا إذًا؟ إن كنت تعلم منذ البداية فلماذا تكبَّدت العناء للوصول إلى هنا، لتنفيذ المهمة وأنت تعلم أنّه سيلقي بك لهلاكك؟»

أجاب بعد لحظة صمت: «لديَّ خطة.. ودَينٌ لأسدده».

أومأ أندرياس فقط، لم يسأل عن الخطة أو الدَّيْن الذي يقصده، فهو يعلم حقّ المعرفة أنّه لن يجيب.

«دعني أحزر.. لديك خطة أخرى ضد حكومة العالم، صحيح؟»

«بتّ ذكيًّا».

قلّب ناظريه، ثمّ تنهد تنهيدة طويلة وناوله مفتاح سيارته:

«قد أُعاقب أشدّ العقوبة من الدّون، لكنّي لا أودُّ أن أكون مدينًا لك على حياة ابني وأمه.. كما أتمنى أن تكون لديك خطة تقتضي إنقاذ روبي من المنظمة».

تقدّم أندرياس وأعطاه ظهره، فقال بتهكّم يستفزه به:

«العفو»..

«لم أرك ترحل».

«لم أرك تدخّن».

صعد أندرياس عبر الدرجات وهو يحمل زجاجة شرابه ليعود إلى شقته وإلى رؤية وجه لورينا مجددًا، لكنه توقف عند باب شقة مارسيل المفتوحة عندما سمع بكاء إيزابيل.

نظرَ في الأرجاء قبل أن يدخل ليجدها تبكي على الأرض بصوت مكتوم. رفعت رأسها ونظرت إليه بغضب وعينين دامعتين بينما التقط هو كأسين من الطاولة وجلس على الأرض بجانبها، يسكب المتبقي من الشراب في كأسه وكأسها.

ثم اتكأ على الجدار خلفه بعد أن ارتشف القليل، وقال: «اشربي...»

«ما الذي تفعله؟»

«علَّمني أبي أنه عند سماعي لامرأة تبكي فيجب أن أقدِّم لها الشراب، العناق، والآذان المصغية».

قلبت ناظريها واتكأت مثله، ثم قالت: «وألم يخبرك ماذا تفعل لو رفضت المرأة؟»

«لم يعش ليخبرني بذلك».

«هكذا إذًا».

سأل محدقًا بالجدار: «لماذا أنتِ حزينة؟»

أجابت وهي تسرح بذهنها: «لأنه لم يتبقَّ لي شيء».

«وأنا حزينٌ لأنني أملك كل شيء عدا الذي أردته».

«وما الشيء الذي أردته؟»

«امرأة لا تريدني.. وأنتِ؟»

«رجل يريد امرأة أخرى».

زفر ضحكة خفيفة: «إذًا نحن الاثنان محطمان.. هذا جيد».

«ولماذا جيد؟»

«يمكننا البصق على العالم والهرب لعالمنا الخاص».

وضعت الكأس جانبًا قائلةً: «هل علّمك والدك أن تستغلّ امرأة في لحظة ضعف هكذا؟»

هزّ كتفه: «لا، هذا اجتهاد شخصي، فيجب على التلميذ أن يتفوق على المعلم بطريقة ما!»

هزّت رأسها باستسلام: «يا لك من تافه».

يسافر مارسيل على متن طائرة S-512، الطائرة المدنية التي تتجاوز سرعتها سرعة الصوت. تقطع ألفي كيلومتر في الساعة وتقدر قيمتها بين ثمانين إلى مائة مليون دولار...

كان هناك بعض رجال الأعمال على متنها أيضًا، ينعمون بالرحلة المترفة بينما هو غارق بالتفكير. أمامه ما يقارب أربع ساعات ليصل إلى بلاكبول، وعليه أن يصل لخطّة محكمة! لكنه لا يستطيع أن يهدأ ويفكر بشكلٍ جيد بسببها.

لا يستطيع أن يتخيل أنها قضت كلّ هذا الوقت مع جاريد! يحترق قلبه لمجرد التفكير بمدى الرعب الذي أصابها، ويتمنى الآن لو أنه تحدَّث ومنعها، لو أنه رافقها على الأقل.. ولكن لا ينفع الندم ولن تقدم كلمة لو شيئًا.

التقط هاتفه واتصل بالرقم أخيرًا ليسمع صوت جاريد الذي لا يزال يجعل بدنه يقشعر!

«كنت أتساءل متى ستتصل».

«أين أنت؟»

«أنا في المقر القديم، هل تذكره؟ إنه يعيد لي الحنين حقًّا مع أنه بات خرابة الآن».

شدّ على هاتفه، المقرّ القديم خارج مدينة لندن، مما يعني أنّه سيتأخر أكثر حتى يصل إليها!

سأل بهدوء: «لماذا ذلك المكان؟»

«هنا بدأ كل شيء وهنا سينتهي.. سأكون بانتظارك».

«ولماذا أخذتها معك؟»

«من أجل جولة سياحية بالطبع! كما أنني أريدها أن تشهد ما سأفعله بك. إنها مسلية كثيرًا بالمناسبة، ولكني أتساءل إلى متى سوف تستطيع متابعة الجولة».

أنهى جاريد الاتصال وعاد إلى روبي التي تتأمل ساحة القصر المدمّرة، ولقد كانت أرض آل باترو إيڤان تشغل مساحة كبيرة حقًّا، ونمط أو عمارة القصر على الطراز القوطي الذي استُخدم على نطاق واسع في عمارة الكاتدرائيات والكنائس.

لقد كان قصرًا مهيبًا، مخيفًا ويبعث على الكآبة، وشعرت روبي بالضيق لمجرد النظر إليه.. فكيف بأولئك الذين عاشوا فيه؟

«هل تعلمين أن مصطلح العمارة القوطية حمل في بداياته معنًى سلبيًّا؟»

«وماذا كان المعنى؟»

«الهمجية.. ولكن ما حدث هنا كان أسوأ من ذلك بكثير».

«لماذا...؟ ما كان دافعك من إحضار كل أولئك البشر؟»

«أنتِ صغيرة في العمر، لذا لا أتوقّع أنّك سمعتِ برجل يدعى جيرالد باترو إيڤان من قبل».

«لا».

«سأحكي لكِ قصةً إذًا وهي قصّة لا يعرفها أحد ولا حتى 005، فقط أنا وشقيقتي جودي»، تابع: «كان جيرالد رجلًا مختلًّا عقليًّا، خاليًا من المشاعر الإنسانية تمامًا ومولعًا بالتعذيب.. وكان والدنا».

نظر جاريد للقصر قليلًا، مستعيدًا بعض الذكريات، ثمّ إلى روبي مجددًا

«كنا ثلاثة أشقاء، ومعنا أمنا التي حبسها على أمل أن تنجب له المزيد والمزيد من الأبناء ليعذبهم ويرى من بإمكانه أن يتحمل أكثر، لا أحد من السلك القضائي علم بأمره وكان ماهرًا في تمويه كل الحقائق.

وعندما سأله أحدنا عن السبب في فعله لذلك، أجاب: «أريد أن أرى إلى أي مدًى يمكنكم التحمل والنجاة»».

اقشعر جسد روبي، لكنها حافظت على هدوئها لسماع بقية القصة...

«ارتفع عددنا لاحقًا إلى ستة وكان التعذيب لا يزال مستمرًّا، كنت أنا وجودي أكبر الموجودين، نشاهد إخوتنا الصغار يلاقون التعذيب على يد أبينا وننتظر دورنا. ماتوا جميعًا وبقيت أنا وهي فقط.. ويومًا ما قررنا أن نضع حدًّا لوالدنا، فتسللنا لذلك البرج هناك وقتلنا والدتنا حتى لا تنجب، وقد كانت حبلى وقتها، ثم أتى والدنا ليشاهدنا وهو يضحك!»

صمت جاريد مبتسمًا، ثم تابع: «لا أذكر كم مرة طعناه فيها، ولكننا كنا نبكي حينها بحرقة كما بكينا على والدتنا التي ورغم مقتلها ماتت بوجه مرتاح..

ألقت الشرطة التهمة لاحقًا على قاتل متسلسل، وتم تأليف العديد من القصص عن الناجيين الوحيدين، وأخذونا لمراكز نفسية كثيرة. ورثنا القصر وكل أملاك والدنا، لكننا لم نستطع أن نعيش كأشخاصٍ طبيعيين أبدًا، وكانت جودي ترغب بعائلة بشدة لكنها لم تكن تستطيع الإنجاب بسبب التعذيب الذي عانت منه، وأنا أردت أن أضع نفسي مكان أبي وأرى ما كان يراه! وهكذا أنشأنا المنظمة، وحصلنا على القوة والمال! وكان تشرشل هو من يوفر الصبية لنا بحكم عمله السابق في تجارة البشر».

«و... لماذا اخترت مارسيل بالضبط؟»

«لأنّي لم أكن مقتنعًا بكل الصغار. كان هناك شيءٌ ما خاطئ وأدركته بعد رؤية 005 في مهده.. الأساس! التكوين!

كل الصبية الصغار كان لديهم أساس، أفكار ومعتقدات تربوا عليها أو تعرضوا لها، وقد تكون تغيرت بعد قدومهم إلى هنا ولكنها ما زالت موجودة في كيانهم، عدا 005!

لقد كان رضيعًا لم يستطع رؤية الدنيا بعد، ولم يكن يعلم أي شيء. لم يتغير مثل الآخرين بل تم تكوينه جيدًا من قِبَلي. كان لا يصدق! معجزة حية، لا يستطيع أي أحد إيقافه.. أداة قتل مثالية!»

لمس وجهها وأضاف: «وأنتِ ستعيشين لتشهدي ما يحدث عندما تصاب أداة القتل بالجنون!»

«ألن تخبرني بما ستفعله؟»

«ستعرفين كل شيءٍ في الوقت المناسب، والآن دعينا نتابع جولتنا. احملي مصباحك فالمكان مظلم مرئيًا ومعنويًا»

حملت روبي المصباح ورافقت جاريد. أخذها في جولة داخل القصر القديم الذي كان مغطًى بالغبار ومليئًا بحطام الحجارة والأوساخ، أغلب نوافذه محطمة وكلّ الستائر ممزقة والأرضية متهالكة كذلك، لقد كان مهجورًا بحق، وبيوت العناكب تثبت ذلك أيضًا!

رأت آثارًا كثيرة وغرفًا عديدة، وكانت الشفقة تتملكها أكثر من الخوف الذي يسري في جسدها وهي تستمع لجاريد الذي يلعب دور المرشد السياحي، وكان ما يثير رعبها وحزنها في الوقت ذاته هي الكتابات على جدران بعض الغرف وآثار بقع الدماء القديمة والخربشات..:

«كان الأمر ممتعًا!»

«لا يوجد مهرب».

«قاتل!»

«أريد أن أعيش».

«لا وجود للسلام».

«اقتل اقتل اقتل اقتل».

«رائحة الدم منعشة حقًّا».

«أخرجوني من هنا!»

ثمّ صعدت معه عبر الدرجات المهترئة وهي تراقب خطواتها جيدًا، واستمرّا بالصعود حتى وصلا إلى جناح خاص.

«هذا الجناح حيث حُبِست والدتي، وهو الجناح ذاته الذي ربيت فيه 005».

تفاجأت روبي وأخذت تضيء المكان وتتأمله باهتمام أكثر.. كان هناك أدوات تعذيب، أسلحة، كتبٌ قديمة، أوراقٌ متناثرة وبها بقع دماء، كتاباتٌ كثيرة على الجدران وكلها تقول: «أداة قتل».

دمعت عيناها، واستمرت بتأمُّل غرفته حتى رفعت المصباح لترى لوحة ليلة النجوم الممزقة على الجدار، فهربت الدموع وهي تتذكر ما قصَّه عليها بشأنها.

«لقد عانى كثيرًا...»~

وصل مارسيل إلى لندن أخيرًا.. تراقبه عيون كثيرة، ومسألة وقت لا أكثر حتّى يتناقلوا الخبر وتدركه حكومة العالم!

استقل قطارًا إلى ريف لندن أوّلًا؛ لينقله بشكلٍ أسرع من السيارة، والتقت عيناه مع بعض المريبين من رجال مايورانو الذين لا يملكون

الجرأة على الاقتراب منه، بل كانوا حاضرين للمراقبة، والإشراف والتحقق من أن المهمة سوف تُنجز...

لم يكن يتوقّع أن تأخذ الأمور هذا المنحنى في لقائه مع جاريد.. لكن هذا هو الواقع، وكل دقيقة تمضي تقرّبه من محطة الوصول، وإلى نقطة النهاية!

هو مستعد للمواجهة تمامًا، ولكن لديه أمنية واحدة؛ وهي ألا تصاب روبي بأذًى في خضم قتاله الأخير والمنتظر معه!

إنها اللحظة التي كان ينتظرها ويخطط لها منذ زمن طويل جدًّا. اللحظة التي سيقتله فيها ويحرر نفسه من قيوده..

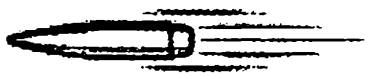

ترجَّل من القطار وأخذ سيارة أجرة. تعجّب السائق من طلبه مدعيًا أن المنطقة التي يريدها بعيدة، لكنه امتثل لأمره عندما دفع له مبلغًا كبيرًا مقدمًا!

«سأنزلك هنا يا سيد، فلا أستطيع التقدم أكثر».

«تابع التقدم».

السائق بتذمّر: «لا يوجد شارع والطريق وعرة ونحن في الليل!»

وجه مارسيل مسدسه لرأس الرجل ليتجمد مكانه فزعًا!

«تابع التقدم حتى ترى القصر»

«ق... قصر باترو إيفان؟ لكن الأرض هناك مهجورة منذ سنوات ويقال إن هناك أشباحًا أيضًا!»

«الأشباح هي ما ستراه عندما أسحب الزناد، لذا تابع التقدم حتى آمرك بالتوقف».

سعلَ بخوف وامتثل لأوامره متابعًا القيادة حتى أمره بالتوقف أخيرًا وترجل دون أن يقول شيئًا ليهرب بعدها السائق بسرعة!

مشى مارسيل تحت ضوء القمر حتى وصل إلى حدود الأرض ورأى معالم القصر الذي جعل الذكريات تتدفق لرأسه بكلّ تفاصيلها..

وما أن عبر البوابة حتى أُضيئت الكشافات بشكلٍ متتالٍ لتنير الساحة والقصر الذي بانت معالمه أكثر، وكان أول ما وقعت عليه عيناه هو البرج حيث حُبس.

«مارسيل!»

نظر إلى روبي التي هتفت تناديه. كان وجهها باكيًا، متوسلًا، وكانت تتوسط الساحة ويداها مصفدتان برمح أحد تماثيل النافورة المحطمة!

وبجانبها، يقف جاريد صاحب الابتسامة الثلجية، يحدق بمارسيل كما يحدق به.. إنه هنا بالفعل! لقد تقابلا أخيرًا!

«اهرب من هنا فورًا، أرجوك! إنّه ينوي فعل شيء».

لم ينظر لها متعمدًا، وظلَّ يحملق بجاريد الذي لمس وجهها قائلًا: «لا لا يا روبي عليه أن يبقى، فهو نجم العرض.. أليس كذلك يا 005؟»

ضحك ضحكة خفيفة ثم سحب مسدسه في الوقت ذاته الذي سحب فيه مارسيل سلاحه أيضًا، ولكنهما لم يطلقا النار بعد!

ارتعدت روبي وتجمدت أنفاسها، ثم ابتسم جاريد بفخر وهو يرى تلك النظرة الحادة في عينيه.. النظرة التي كوَّنها فيه.

«أحسنت يا 005، أحسنت. أنا فخور بك. لم تخيِّب ظنّي أبدًا. تخطّط ثمّ تضرب، وها نحن ذان نلتقي... أحببت خطتك لجذبي وجعلي أظهر!

تركت هدفًا حيًّا عن قصد، ثمّ كلّفتَ تلك الجميلة لتبحث عنّي وقتلت شقيقتي أيضًا في يوم الاجتماع لـتخلق الفوضى وتجعلني ألتفت إليك، وحتّى ذهابك للمكسيك واختيارك للدّون فيرناندو كان رائعًا!»

ابتسم بخبث محملقًا به، ثمّ تابع: «أنت تعرف الحقيقة ولهذا اخترته دون البقية، ولكنّك لا تهتمّ وفعلت ذلك لجذبي أيضًا، واحزر ماذا؟ لقد جعلتك تنجح عن قصد لأثبت لك أنّني لا أزال المعلّم...

والآن أجبني، لماذا فعلت كلّ ذلك؟ أريد سماع الإجابة المعروفة بشدّة».

سيطر مارسيل على اضطراب أنفاسه وقال بنبرة هادئة: «لأقتلك»

«ولماذا تريد قتلي؟»

«لأنك خوفي، ويجب أن أتخلص وأتحرر منك. كنت أخطط لهذا منذ زمن طويل».

ابتسم جاريد بفخر قبل أن يسأله: «005.. ما أنت؟»

نظر إلى روبي التي كان وجهها يتوسله ألا يجيب، لكن مارسيل تجاهلها وأجاب بكلّ جدية:

«أنا أداة قتل».

زفر بارتياح ثم نظر إلى روبي وقال: «والآن استمتعي بالعرض يا عزيزتي».

سحب جاريد سلاحه لرأسه في لحظة وأطلق النّار دون تردد، لتتناثر دماؤه على وجه روبي التي شاهدت جثته وهي تهوي على الأرض في مشهدٍ مفزع يُعرض بوتيرة بطيئة داخل رأسها!

ثم نظرت إلى مارسيل الذي كان مصعوقًا تمامًا، كما لو أن الرصاصة أصابته هو! مشى بخطواتٍ سريعة غير متزنة ليراه عن قرب، ثمّ هوى على ركبتيه وشد قميص جاريد الميت مستنكرًا ما حدث، مستنكرًا موته!

تمتم وهو يشدّ على قميصه: «لا.. لا.. لا.. استيقظ.. استيقظ.. لا يمكن لهذا أن يحدث!» ثمّ صاح بصوتٍ مهتزّ: «استيقظ!!»

«مارسيل».

صاح مجددًا: «استيقظ أيّها اللعين! ليس هكذا! ليس هكذا!»

انهمرت دموع روبي المصدومة وهي تشاهده يهزّ جسد جاريد وهو غير مصدّق، بل مدمّر!

«ما.. رسيل توقف. لقد مات!»

هتف بغضب: «لا! لم يمت لم يمت!»

نظر إلى جثة جاريد وحاول إيقاظه مجددًا وهو يهز رأسه رافضًا حتى بعد رؤية الدماء تتدفق من رأسه، ثمّ دفن وجهه في صدره وصرخ باكيًا بأعلى صوته مستنكرًا الأمر برمّته...

استمر بالصراخ والبكاء كالطّفل أمام روبي التي لا تصدق ما تراه عيناها ولا ما تسمعه أذناها من شهقات باكية تجسّد معنى القهر والألم!

تذكرت كلمات جاريد جيدًا وهي تشاهده، كما ارتعش جسدها الباكي وأخذت تحاول تحرير نفسها بشدّة:

«لا تفعل هذا بنفسك، هذه خُطته! لقد خطط لذلك!»

تمتم بصوتٍ باكٍ: «أنت لم تمت صحيح؟ استيقظ! لا ترحل.. عدْ.. عد ودعني أقتلك.. أرجوك».

رفع رأسه عاليًا وتأوَّه بقهرٍ قبل أن يدفن وجهه بين يديه ويصرخ حتى ينقطع صوته ويتحول لمجرد شهقات منكسرة ويائسة، وكانت روبي لا تزال تحارب لتحرر نفسها وتصل إليه.

ثم لهثت ونظرت إلى يديها بغضب قبل أن تصرخ وتسحبهما بقوة وسرعة كما أخبرها ذات مرة، لتسمع وتشعر بكسر مفصلي إبهاميها!

تحرّرت أخيرًا وأسرعت إليه، جثت بينما يداها ترتعشان من الألم ثم احتضنت رأسه وهي تبكي وتتوسله أن يهدأ.

«هذا يكفي، لقد مات»

«لم يمت.. لم يمت وسجنني مجددًا للأبد» أردف بعد لحظة صمت قصيرة: «يجب أن ألحق به..»

رفع المسدَّس لرأسه، لتضرب روبي يده فيسقط على الأرض.

«لا لا! لن أسمح لك».

أمسكت رأسه بين يديها ونشجت عندما رأت نظرة الرجل المحطم والضائع في عينيه، لكنها هزت رأسها رافضةً أن تستسلم لحقيقة أنه ضاع منها تمامًا.

«انظر إليَّ.. انظر إلى عينيَّ! لقد خطّط لذلك. أرادك أن تفعل ما تفعله الآن لذا لا تدعه ينتصر عليك، لقد مات وانتهى الأمر!»

«لم ينتهِ الأمر.. أنا فشلت».

هتفت بغصّة وهي تجبره على النظر إليها: «أنت لست أداة قتل!»

نظر إلى عينيها أخيرًا فالتقطت أنفاسها وقالت بصوت مضطرب: «أنت لست أداة.. لقد انتهى كل شيء. لقد انتصرت.. أنتَ حُرّ يا مارسيل. حرّ! ويمكنك أن تعيش الآن».

«لا أستطيع...»

روبي وهي تمسح دموعه بسبّابتيها: «بلى يمكنك! أعلم أن كل ما تراه الآن هو الظلام، ولكن أرجوك حاول أن تفتح عينيك وترى النور! لا تؤذِ نفسك بسببه، أرجوك..»

«لا أستطيع.. إنّه.. خوفي...»

«لقد رحل، لذا لا تخف بعد الآن!»

همس: «أنتِ لا تفهمين.. يجب أن أقتله».

«لا.. لا يجب أن تقتله أو تقتل أي أحد. يمكنك التوقف الآن والبدء من جديد، يمكنك أن تكون شيئًا آخر وهذا لن يكون مستحيلًا لأنّي أومن أنك تستطيع يا مارسيل! وسأظل أومن بذلك حتى آخر يوم في حياتي!»

نشجت وابتسمت بحزن متابعةً كلامها: «ثق بنفسك ولا تستسلم لتأثيره! أنت لست ضعيفًا ولست وحدك.. أنا هنا من أجلك، وسأكون دائمًا معك، لذا ساعدني أرجوك ولا تدعني أفقدك!»

ذرف مارسيل الدموع وانتبه ليديها المتورمتين تلمسان وجهه، ثم نظر للأصفاد قبل أن يعاود النظر إلى عينيها الزرقاوين مجددًا.

هزّ رأسه وهمس: «لماذا.. ؟»

«لأنني أحبّك وأكترث لأمرك».

«كيف لكِ أن تحبّي شخصًا مثلي..؟»

ابتسمت بمرارة: «لأنني أرى ما لا يمكنك أن تراه بعد. أرى مارسيل الحقيقي والذي يرغب بالتحرر والنجاة، أسمعه يناديني في الظلام، ولكني لا أستطيع الوصول إليه بمفردي، لذا ساعدني في ذلك ودعنا نصل إليه معًا!»

«أنا.. لا أعلم كيف هو الحبّ، لم أجرّبه من قبل ولا أستطي...»

«يكفي أن ترغب بمعرفته. يكفي أن تختار! ثم ستتعلمه في النهاية وتتعلم كل شيء آخر حتّى تصبح طبيعيًّا».

«هل سأستطيع ذلك؟»

«أومن أنك تستطيع».

حدقا بعضهما بأعين بعض مطولًا، وقعت عيناه على شفتيها واقترب منها، ثم خفض رأسه قبل أن يصل إليهما وإلى خلاصه عندما علا صوت الطائرة المروحية -الهليكوبتر- التي اقتربت وحلّقت فوق القصر!

«ما هذا...؟»

حدق بها للحظة بعينين حزينتين قبل أن ينهض ويأخذها لداخل القصر وإلى أقرب غرفة وجدها، تلك التي كُتب على جدارها: «كان الأمر ممتعًا!»

نظرت إلى النافذة ثم إليه وسألت بقلق: «ما الذي يحدث؟ من هم؟»

«الرجال الموكّلون بمعاقبتي...»

«ماذا!؟ ولكن.. لا! لنسرع بالهرب من هنا، هيَّا بنا!»

أوقفها مارسيل قائلًا: «لا.. أنا سأذهب وأنتِ ستبقين هنا».

«لا لا لا بل سأبقى معك!». أمسكت عنقه ووضعت جبينها على جبينه قائلةً: «نحن في هذه الرحلة معًا يا مارسيل.. لن أتركك لهم!»

أغمض عينيه وهو يشعر بأنفاسها: «لا...»

«بلى! لن أبتعد عنك».

لمس وجهها وحدق بعينيها مجددًا، ثمّ سأل: «أتحبينني حقًّا؟»

نشجت مجيبة: «أجل.. أجل...»

«هلّا فعلتِ شيئًا من أجلي إذًا؟»

«بالطبع!»

«نامي...»

لم تدرك ما حدث بعدها، شعرت بألم قوي فجأة ثمّ وجدت رؤيتها تنعدم وجسدها المتمسّك به يترنّح..

تمتمت: «لا... لا...»

همس وهو يضعها على الأرض برفق: «لا تقاومي.. لا بأس.. أنا آسف».

تأمّل وجهها مرة أخيرة، ثمّ أزاح خصلات شعرها عن ندبة جبينها ليطبع قبلة بريئة وطويلة.

«شكرًا يا روبي...»

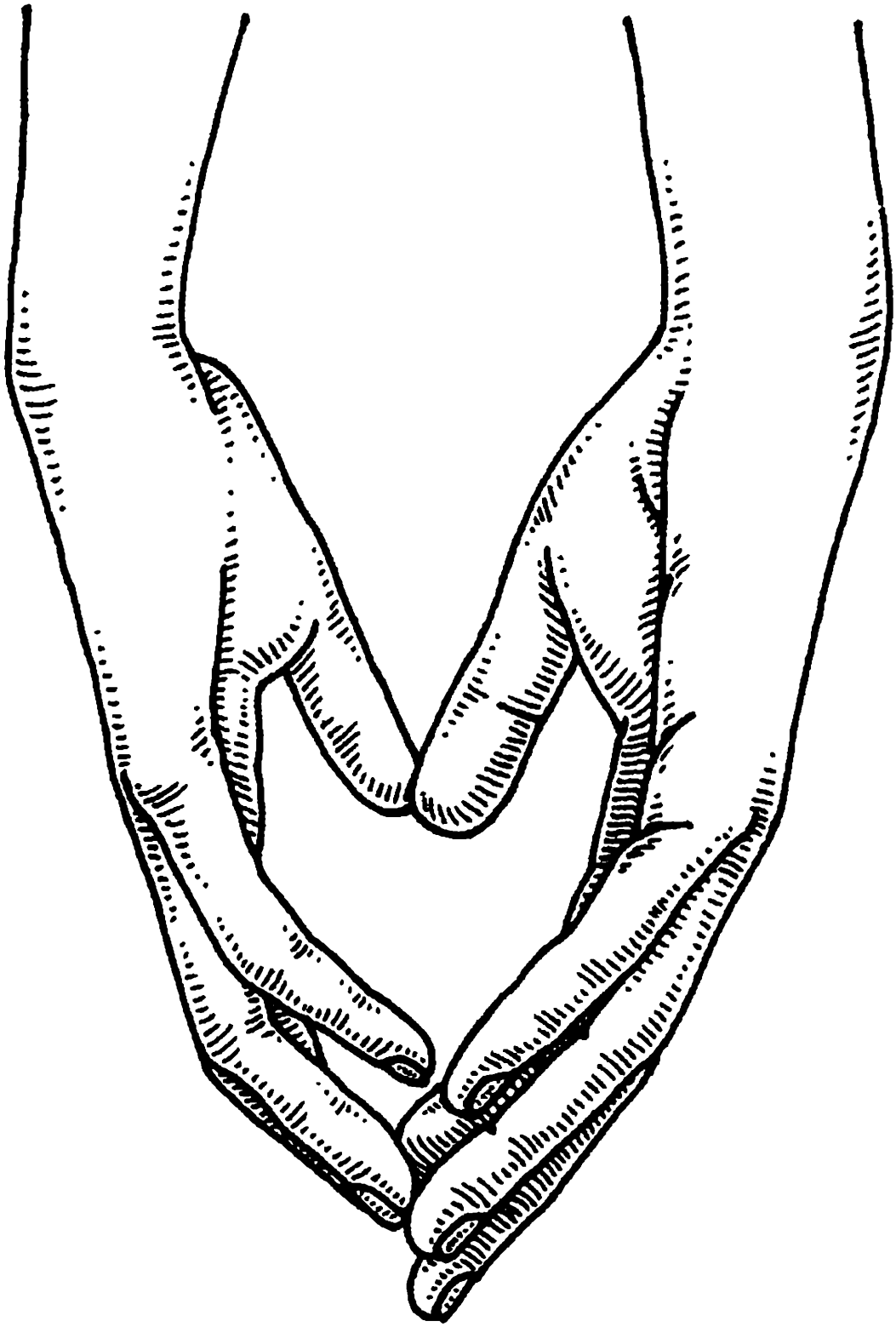

8 : رحلتنا الجديدة

يقول الفلاسفة: لا تبحث عن الحب فهو سيبحث عنك.. ويقولون أيضًا: قَعْ في حب شخصٍ يكون ملاذك الآمن، ومغامرتك اللانهائية...!

«إنّ روبي سميث موجودة هنا، فماذا نفعل؟»

«هيَّا تحركوا».

سمعت روبي أصواتًا كثيرة حولها، وبدأ عقلها ينبض للعودة إلى حالة الوعي، وعادت الذكريات إليها لتشهق فزعة وتفتح عينيها هاتفةً باسم مارسيل قبل أن تلتفت للرجل الذي يهمّ بحملها.

«ابتعد عنّي! من أنتم وأين مارسيل؟»

تلفتت حولها قبل أن تنهض بثقل لتهرب وحينها لحقوا بها حتّى خرجت لتجد ثلاثة آخرين، يحملقون ببقعة الدماء حيث كانت جثة جاريد!

أجفلت وهي مشوشة: «لا.. لا.. لقد أخذوه!»

«يجب أن ترافقينا يا آنسة سميث».

أمسك الرجل بذراعها فصرخت: «اتركني!»

«نحن مع بيتروڤا! أمرنا أن نحضرك».

«لا، يجب أن أذهب لمارسيل! يجب أن أجده!»

لم يكترثوا لانهيارها العاطفي وحالتها، حملوها بالقوة لداخل السيارة التي انطلقت على الفور، وما زالت تحاول المقاومة حتّى قاموا بتقييد يديها المتورمتين ووضع شريط لاصق على فمها، ثمّ قدميها عندما بدأت تركلهم، وبقيت هكذا لبضع ساعات، تذرف الدموع وترمقهم بنظرات حاقدة، حتّى أنّها حاولت الهرب بحجة الحمام ولكنّهم منعوها مجددًا.

وعندما وصلوا للمخبأ أخيرًا، أبقوها داخل غرفة حتّى أتى نيل الذي سخط عليهم عندما علم بما فعلوه بها في السيارة حتّى عندما برَّروا له السبب!

دخل للغرفة ومعه إلويز ورجلٌ آخر، وحالما رأته روبي انتشلت ذراعها من الذي بجانبها وأسرعت إليه وهي غاضبة لتضربه!

رفعوا أسلحتهم وهمّوا بالاقتراب فهتف نيل بهم وأمرهم ألّا يقتربوا.

«أيها الكاذب!»

صرخت وهي تضرب صدره وذراعيه اللتين أوقفها بهما وقال بقلق: «أنتِ مصابة! توقفي أرجوك كي لا يتفاقم الأمر».

«لقد كذبت علي، كنت تعرف الحقيقة منذ البداية!»

«توقفي ولنتحدث!»

التقطت أنفاسها وهي تلهث قبل أن تدفعه عنها وتقول بنظرات حادّة: «نعم لنتحدث.. يا أخي!»

اتسعت أعينهم جميعًا، ونظروا إلى نيل الذي كان متفاجئًا مثلهم ولكنّه أبدى الاهتمام والتعاطف أكثر.

«أم هل عليَّ أن أقول: يا ابن الرجل الذي كنت أظنّه والدي؟ الرجل الذي أراد قتلي! جوناثان والش!»

زفر نفسًا طويلًا، ثمّ سأل: «هل عادت ذاكرتك إليكِ؟»

«لا يهم! ما يهمّ هو أنني عرفت الحقيقة التي أخفيتها عليّ ولا تزال كذلك!»

«وكيف علمتِ؟»

تسلّلت الغصة لحنجرتها وهي تقول: «أخبرَني مارسيل بقصتي. هو يعلم مَن أكون! علمَ أنّك راقبته وأنّ جيم كان يراقبه كذلك، علمَ أنني لم أفقد ذاكرتي عندما وضعني ذلك الملعون جيم أمامه. أبقى على حياتي ليعلم من أنقذني بالضبط!»

تابعت وهي منفعلة ومشوشة: «ثم ظهر جاريد إيڤان! أخبرني بأنك نايجل والش وأنك بيتروڤا ولكنه لا يهتم لك أو لحكومة العالم وأخبرَني بقصتك مع والدتك! و... و... الخطة و و.. تبًّا كل شيء معقد! معقد!»

سألت إلويز باستياء: «هل يعلم أحد آخر بهويته؟ هل أخبرتِ أي أحد؟»

رفع نيل يده: «إلويز..» ثمّ نظر للجميع: «اتركونا بمفردنا من فضلكم».

«ولكن!»

نيل بحدة: «الآن!»

قبضت يديها قبل أن يدفعها صديقها ويغادروا الغرفة، لتبقى روبي وحدها مع نيل الذي تنهد تنهيدة طويلة ومسح على وجهه.

«أنا آسف بحق يا روبي..»

قالت بامتعاض: «أخبرني بكلّ شيء تعرفه.. كل شيء يا نيل!»

جلس على الفراش خلفه وشبّك يديه، ثمّ بدأ يسرد لروبي كل شيءٍ أبقاه مخفًى وتحمّله بمفرده..

«والدي هو السبب الرئيس في كوني بيتروڤا، لأنّه طاغية، ولا حدود لجبروته..

لطالما أردت الانتقام منه على ما فعله بي وبوالدتي، وشعرتُ بحقد عندما علمت أنّه أسّس عائلة أخرى ونسي فعلته وكأنّ أي شيءٍ لم يكن! رأيتكِ معه في بعض الصور التي أرتها لي مربيتي، وكان هناك مخططات للزواج من والدتك.. كرهتكِ من دون أن ألقاكِ حتّى، لكلّ الدلال الذي حصلتِ عليه والحياة التي كان من المفترض أن يعطيها لي ولأمّي».

تنهد: «ثمّ انتشر خبر أنّ حريقًا قد اندلع وماتت فيه عشيقته وابنته المحبوبة اللتان بكى بحرقة في جنازتهما.. لم أصدّق دموع التماسيح التي ذرفها وعلمتُ أنّه خطط لشيء حتمًا، ولكنّي لم أهتمّ..

ترعرعت مع عائلة مربيتي، وكلّ ما كنت أفكّر به هو الانتقام حتّى بعد ما أصبحت بيتروڤا».

«وكيف وجدتني؟»

«علمتُ عن طريق جاسوسي أنّ والدي يبحث عن بياتريس والش. أدركتُ أنّك نجوت وهربتِ بطريقةٍ ما، ورأيتُ أنّ هذه هي الفرصة المثالية لأوقع أبي بتهمة قتلك وأفضح كلّ شيء، ثمّ وصلنا خبر أهمّ وهو أنّه وكّل 005 بالمهمة لذا راقبنا تحرّكاته من بلدة إلى أخرى حتّى بدأ يحوم حولك وعلمت أنّك بياتريس، هدفه، وهنا أعماني الطمع. أردت الإيقاع بهم جميعًا بأيّ ثمن.. ولم أكترث لأمرك».

«ولكنّك أنقذتني!»

«لقد طفت جثتك للسطح يا روبي.. لا بُدّ أنّك حاولتِ الخروج من النافذة، أخبرتهم أن ينتشلوا جثتك وحينها أخبروني أنّك حية فأسعفوكِ على الفور وأحضروكِ إليّ، وعندما رأيتك أدركتُ كم كنت دنيئًا وقاسيًا..

لم تستحقي الكراهية التي بدرت منّي، الكراهية والغيرة اللتين أعمتاني عن رؤية أنّك ضحية مثلي تمامًا.

تعرّفتُ عليك وجعلتِني أتمنى لو أنني قابلتك منذ زمن طويل و... أحببتك، وعاهدتُ نفسي أن أحميكِ». أردف باستياء لتذكّره جيم: «وتعلمين الباقي».

تنهدت تنهيدة طويلة وهي مشدودة الأعصاب، ثمّ سألت: «وكيف عرفت أنني كنت في قصر باترو إيڤان؟»

«كنّا نراقب تحرّكات المافيا الإيطالية في الآونة الأخيرة وخاصةً بعد ما فقدنا أثر عضوة منّا. حدثت جلبة في لندن وتجمهر رجالٌ منهم في القصر، فأرسلت الأنصار بعد رحيلهم ليتفقّدوا المكان ووجدوكِ».

«لقد أخذوه.. لقد أخذوا مارسيل».

نهض نيل بهدوء قائلًا: «سأرسل أحدًا لمعالجتك. ارتاحي في هذه الغرفة قبل أن نرحل».

«لا! سوف تطلق سراحي وسأخرج وألحق بهم!»

«لن أسمح لكِ بالرّحيل وتعريض نفسك لخطرهم وخطر المنظّمة. خسرتك مرّة ولن أكرّرها».

«لست مكلّفًا بحمايتي، لستُ شأنكَ بعد الآن يا نيل!»

قال بنبرة منفعلة: «مَن المكلّف إذًا؟ من له الشأن؟ أعطيتك كلمة من قبل، وسوف أحميك يا روبي!»

«لا أريد الحماية بل أريد الخروج! يجب أن أجده!»

«وما الذي قد تستطيعين فعله أمامهم وحدك!؟»

انهمرت دموعها قائلةً: «سأفعل أي شيء يريدونه حتّى يحرّروه!

يجب...» نشجت: «يجب أن يعلم أنّه ليس وحيدًا، وحتّى لو قتلوه فأنا أرغب بالموت معه، لن أتركه وحده!»

حملق بها نيل بقلبٍ مفطور، ثمّ قال بنبرة مجروحة مستنكرًا: «كيف لكِ أن تحبّي رجلًا مثله؟ بعد كلّ الذي حدث؟»

«لم أحبّه على الفور! بدأ الأمر بشفقة ثمّ ثمّ ثمّ شعور بالمسؤولية، ثمّ رغبة بالحماية! و... وتعلّقت به! أحببته» مسحت دموعها: «أنتَ لا تعرفه مثلما أعرفه».

ازْدَرَدَ نيل بصعوبة، وقال بعد لحظة صمت: «من المرجّح أنّهم قاموا بإعدامه الآن. لا يوجد شيءٌ بإمكانك فعله.. انتهى الأمر».

لم تستطع تقبُّل أنّ الأمر انتهى، لم تستطع أن تصدّق ما يريدها نيل أن تصدّقه.. حتّى بعد مرور أيامٍ من آخر لقاءٍ بينهما.

خبّأها في إحدى المزارع في ولاية تكساس مجددًا لكن هذه المرّة مع عائلة مربّيته، أناسٍ يعرفهم حقّ المعرفة ويثق بهم كثيرًا.. لكنّها لم تحتكّ معهم أبدًا.

لا تزال غارقة في بؤسٍ لا متناهٍ، لا تتحدث، لا تأكل ولا تشرب، لا تفكّر بأي شيءٍ سوى بمارسيل الذي باتت تراه في نومها فقط.

تشتاق إليه، لعينيه، لصوته ولضحكته الخافتة أيضًا، نظراته وتلاعبه بها حتّى تقف على حافة أعصابها

«أين أنت؟ هل مت حقًّا؟ لماذا لا أستطيع الاعتراف بذلك؟ لماذا لم تأخذني معك؟ كنت سأقبل أن نموت معًا

أنا لست حية.. وأريد رؤيتك مجددًا»~

وبعيدًا عن مكانها آلاف الأميال، في قارة أخرى، بلد آخر وسجن خاص تحت الأرض، في زنزانة مظلمة وضيقة، يتم تعليق مارسيل ورفعه عن الأرض من ذراعيه وتثبيت قدميه معًا بسلاسل ليشلوا حركته أكثر ويستمروا بتعذيبه بشتى وأقسى أنواع التعذيب المتواصل وفقًا للقانون الذي يقتضي بتعذيبه ستة أيام وإعدامه في اليوم السابع!

خلعوا أظافره، جلَدُوه بالسوط حتى حفروا آثاره على جسده، صعقوه، حرقوا جسده بأسياخ حارة، وغمروا الزنزانة بالمياه ليغرقوه ويوصلوه لحافة الموت قبل أن يعيدوه مجددًا، ولم ينطق بكلمة لهم.. لا شيء سوى الأنين أو الصراخ المتألم!

ودخلَ ماتيو إلى الزنزانة فتسلل قليلٌ من الضوء إليها، تأمّل جسده المعلق والمعَذَّب، والدماء التي تسيل منه وتتقطر على الأرض، ثمّ أمسك بشعره وجذبه ليرفع رأسه قبل أن يقول بنبرة مرحة:

«لا تزال حيًّا حقًّا يا سييل! ولكن لا تقلق فكل هذا سوف ينتهي قريبًا.. غدًا سيحلّ اليوم السابع، فهل لديك أمنية أخيرة؟ طعام؟ شراب؟ أي شيء؟ سأتوسط لك لو رغبتَ بذلك».

لم يجبه مارسيل، فزفر ماتيو وترك رأسه يسقط ثم مسح يده من دمائه وغادر الزنزانة التي أظلمت مجددًا وأعمته عن الرؤية تمامًا، لكنه كان لا يزال يرى جاريد يحوم حوله وعلى وجهه ابتسامته المرعبة!

«حرّر نفسك يا 005.. لا تزال لديكَ فرصة للنجاة، كن الصّياد.. كن أداة قتلي!»

مورينو: «كيف يسير الأمر؟»

ماتيو: «ما يزال حيًّا».

«مصقول جيدًا».

«بل مخيف وغريب!»

«وكيف ذلك؟»

«النظرة في عينيه.. نظرة رجل ميت! رغم تعذيبنا، صراخه وألمه وكل شيء! لا تزال تلك النظرة تعلو وجهه.. وكأننا نعذب جسدًا بلا روح».

«هكذا إذًا».

«أبي؟ ألم تفكر بضمه لنا؟ سيكون مفيدًا كما تعلم. مقتله خسارة حقًّا».

«يجب أن نطبّق القانون حتّى لو عنى ذلك خسارة أداة مثله...»

وفي المكسيك، وصل طردٌ بريدي إلى الدّون فيرناندو بعد تفحصه والتحقق من أمانه، وما بداخله قلبه رأسًا على عقب وجعله يرعد الدنيا حوله!

وباتصالٍ واحد حرَّك كلّ رجاله المهمّين ومن بينهم أندرياس الذي ترك إيزابيل وعائلته على عجالة لينضمّ إليهم ويرافقوه إلى حيث الإحداثيات المعطاة له.. إلى مكان نيكولو!

أبحروا إلى الموقع، وكان الدّون رافضًا أن يحادث أي أحد طيلة مدة الرحلة التي استغرقت ثمانيَ ساعات تقريبًا، واستمر بالجلوس في غرفته الخاصة وهو يحدق بالطرد الذي احتوى على بطانية ابنه التي يعرفها جيدًا ويستحيل أن تكون مزيفة؛ فقد حاكتها زوجته ڤالِنتينا لابنهما بعد اجتهاد وأخطاء شهدها بنفسه!

وما أغضبه وقبض قلبه أكثر، كان حالة البطانية؛ ممزقة، ومهترئة وبها بقع دماء لم تتم إزالتها بشكلٍ جيد حتى بعد الغسل!

ثمّ طرق لورينزو -يده اليمنى- الباب ودخل بهدوء ليعلمه بوصولهم.

«لقد وصلنا».

«حسنًا».

زفر قبل أن ينهض ويحكم زر سترته، ثم خرج على مساعديه واختار أندرياس ليرافقهما بالقارب إلى الجزيرة الخاصة، حيث استقبلهم هناك بعض الرجال الذين بدوا مسالمين جدًّا ولم يتفوهوا بأي كلمة بل أشاروا للكوخ الوحيد ليتفضّل ويقصده.

تقدّم الدّون ومعه لورينزو المتأهب، وأندرياس الذي تلفت بعينيه يتأمّل الجزيرة الخاصة حوله حتى استقبلتهم امرأة ترتدي ملابس الممرضات وقادتهم للداخل، وكان شعور الترقب يزداد داخل قلب فيرناندو الذي حاول التمسك بأعصابه قدر المستطاع، حتى وصلوا لغرفة دافئة مشمسة، وتطل على البحر..

نظر أندرياس إلى الأجهزة الطبية ثم سرير المستشفى الذي كان نيكولو يستلقي عليه واضعًا قناع الأكسجين!

حرّك رأسه ببطء من النافذة إليهم، ثم اقترب منه الدون الذي كان ينظر إليه بريبة، كما وقعت عيناه على جسده المغطّى وانتبه لعدم وجود ساقيه.. مبتورتان.

طلبت الممرضة منهم الجلوس فجلس الدون بالقرب من الفراش فقط بينما وقف كلٌّ من أندرياس ولورينزو مكانهما.

خلعت قناع الأكسجين عن نيكولو الذي تنفس بتعب، ثم قال بصوت مبحوح جدًّا وكلماتٍ بطيئة: «لقد.. كنت.. أنتظرك».

«ولماذا؟»

«هو.. طلب مني.. ذلك..»

«من أنت؟ أجبني! لا يبدو أنّك ابني بيدرو».

«أنا لست من تبحث عنه.. هو طلب منِّي.. أن أخبرك بذلك، ولقد.. انتظرتك طويلًا.. هذا اتفاقنا».

رفع ذقنه وقال بنظرات حادّة: «من تكون؟»

«اسمي.. هو نيكولو.. وأنا 004.. أنا لست.... ابنك بيدرو. لقد أتيت للمنظمة.. بعد موت والديَّ.. في حادث».

«أين ابني إذًا؟ هل كل شيءٍ كان كذبةً مِن 005؟ أو جاريد!؟»

رفع نيكولو المتعب إصبعه: «هذه.. البطانية. كانت للرضيع الوحيد الذي.. أتى للمنظمة.. وكان.. 005».

اتسعت أعينهم جميعًا من شدة الصدمة، فقد كانت هذه الحقيقة صفعة قوية للدّون لدرجة أنّه لم يستوعب ما قاله نيكولو لبضع ثوان.

«ابنك.. هو 005».

«هل أنت واثق من ذلك؟!»

«لقد كانت.. ملفوفة حوله عندما... أحضره جاريد لأول مرة.. لقد رأيته. إنَّه ابنك... بيدرو».

نظر أندرياس إلى ساعته ثم قال: «دون فيرناندو، الوقت ينفد منَّا!»

سعل نيكولو فوضعت الممرضة قناع الأكسجين مجددًا بينما غادر الدون فيرناندو مع رجاله مسرعًا للسفينة، وهاتف لورينزو الرئيس مورينو قبل أن يناوله الهاتف.

«نعم؟»

قال بنبرة حازمة: «تغيرت الخطة. أريده».

«أنت تعرف القوانين يا فيرناندو.. ما الذي تغيَّر؟»

«هو ليس كما تظنّ. أنا قادم إليك، لذا لا تلمسه».

«يجدر بك الإسراع قبل أن يموت إذًا».

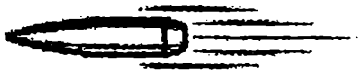

ومن المرفأ للمطار للطائرة، إلى إقليم كالابريا.. وصل الدون فيرناندو مع عددٍ هائل من رجاله المسلحين لحمايته والامتثال لأي أمرٍ منه في حال ساءت الأوضاع أو لم تسر كما يشاء.. متأهبين ومستعدين للحرب وإراقة الدّماء لو تطلب الأمر ذلك!

وكان مارسيل لا يزال يتلقى الضرب بالأسواط من قِبَل المعذبين دون أن يصرخ، فلم يعد جسده يشعر بالألم بعد الآن وكأنّه مخدّر...

تفقّده أحد المعذبين وصفعه على وجهه قبل أن يمسك بفكه ويحدق بعينيه قائلًا: «لقد فقدَ الوعي مجددًا.. أحضروا الدلو».

أحضروا دلوًا ممتلئًا بماءٍ بارد، سكبوه عليه ليرتعش جسده كما لو تعرض لصعقة كهربائية ثمّ تفقَّده الرجل مجددًا، وكان يفتح عينيه وهو لا يزال غير واعٍ.

«لمَ لا تغلقهما للأبد وتريحنا؟»

دفع رأسه وزفر بغضب يأمرهم بتحضير دلوٍ آخر من الماء، وحينها هذى مارسيل في رأسه...

«ليس بعد، لا أستطيع إغلاقهما الآن.

روبي.. أين أنت؟ قلتِ إنّك معي دائمًا لكني لا أستطيع رؤيتك. لماذا لا أستطيع؟ هل هذه عقوبة أيضًا؟

أنا أريد رؤيتك.. لآخر مرة»~

ثمّ فُتح باب الزنزانة وتسلل الضوء إليها مجددًا، ولم يملك مارسيل القوة ليفتح عينيه أكثر ويتتبع مصدر الضوء رغم رغبته بذلك؛ علّه يرى روبي، لكنّ السواد يتسلل إلى عينيه ويغلبه!

اقترب الدون فيرناندو محدقًا به بملامح حجرية وقلب مضطرب؛ لا يسمح أن تنعكس مشاعره على وجهه..

أنزلوا جسده المترنح وحلّوا قيوده لتسقط ذراعاه ويخر على الأرض لولا أن أمسك به الدّون كما لو أنه يحتضنه، لم يدرك من يكون واستسلم للظلام...

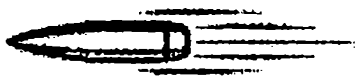

تتعالى أصوات صرخات مارسيل وأنينه عبر الممرات في كل مرة يرى فيها جاريد يعذّبه أو يقوم بقتل روبي قبل أن يستطيع الوصول إليها أو إيجادها حتى!

وتتكرر الكوابيس مجددًا، وقرّر هذه المرة ألا يركض للبحث عنها كما يفعل دائمًا بل قرر أن يناديها ويستمر بذلك حتى تجده هي!

«مارسيل».

«أين أنت؟»

«مارسيل!»

«أنا هنا فأين أنتِ؟ لا أراكِ! لا أراكِ يا روبي!»

«افتح عينيك...»

فتح عينيه بعد شهقة صغيرة ليجد نفسه في مكان آخر. مكان مضاء، آمن ويصل إليه نور الشمس الدافئة أيضًا، ثم نظر إلى الرجل الذي يجلس بجانب فراشه.. الدون فيرناندو الذي شهدَ معاناته وألمه بسبب كوابيسه وإصاباته طوال هذه الفترة.

أغمض عينيه مجددًا ليدرك ما يحدث حوله، وظلَّ هكذا مدة دقيقة كاملة حتى قال الدّون: «كيف تشعر؟»

«أين أنا...؟»

«العاصمة، في منزلي».

«كم.. مضى على وجودي هنا؟»

«أنت نائم منذ أسبوع.. لقد كدت تموت ولكن الأطباء فعلوا اللازم لمنع ذلك».

سحب شهيقًا إلى صدره، ثم زفره بهدوء قبل أن يحاول رفع نفسه والجلوس لتنبض كلّ ذَرَّة في جسده بألم جعله يتوقّف على الفور.

التقط الدّون جهاز التحكّم وضغط أحد الأزرار ليعدِّل وضعية ابنه ويصبح جالسًا جزئيًّا، وحينها رأى مارسيل شيئًا جعله يحدق به بتساؤل.

أعاد النظر لابنه بملامح ساكنة، ثمّ سأل: «لماذا فعلت كل ذلك؟ لماذا كذبت ولم تخبرني أنك ابني بيدرو؟»

«لأنني لست ابنك.. لا يجمعنا اسم ولا علاقة».

«لكن يجمعنا دم، وتحليلٌ بسيط أكّد لي كل شيء».

«إن كنت لا تزال تشك، فلماذا ضحيت بيدك اليسرى؟»

«تحتّم عليَّ دفع ثمن لأخرجك، وكنت سأقطع رأسك لو تبين لي عكس الحقيقة». استطرد ببرود: «أجبني الآن، لماذا؟»

زفر مارسيل نفسًا مرهقًا ثمّ قال: «كنت أدين لك، سواءً متّ بسبب جاريد أو اختفيتُ بعد قتله بحيث لا تجدني مجددًا.. أنا رجل لا يكون مدينًا لأحدٍ أبدًا ولم أجد طريقة لأوفي بها ديني سوى أن أقول لك الحقيقة».

«مدين لي؟ كيف؟»

«تحديدًا، مدين للمرأة التي حاكت البطانية فلقد أنقذتني ذات مرة، عندما هاجمتني كلابٌ مسعورة.

كان جاريد يضعها ضمن الأغراض العديدة في غرفتي واستعملتها لأغطي رأس أحد الكلاب الذي هجم عليَّ وأمنعه مِن عضي قبل قتله.. المرأة ميتة على حدّ علمي، لذا أردُّ المعروف لك».

«وكيف عرفت أن البطانية لك؟ ولماذا وضعها جاريد بينما هو يهدف لتربيتك كأداة قتل؟»

أجاب وهو يسرح بيديه المضمّدتين: «كان يتعمد ذلك.. أن يضعها هناك ويدفعني للتساؤل.

كان يريدني أن أعرف خلفيتي وألا أشعر بالحنين أو التوق إلى العائلة أو أي شيءٍ يعارض كياني.

كان يفعل العديد من الأمور الغريبة ليختبرني ويجعلني أخطئ حتى يتسنى له معاقبتي وتطويري أكثر.

يريدني أن أعرف تفاصيل هويتي مثلما أفعل مع أهدافي.. وفعلتُ لكني لم أخبره، وربما كان يعلم لكنه كان ينتظر منّي أن أتحداه أكثر.. إنَّ جاريد غريب ومبهم».

صمت قليلًا ثم تابع وهو يشعر بالانكسار: «لا أعرف شيئًا بعد الآن.. وسيبقى كل شيءٍ لغزًا يقيّدني للأبد».

«لقد مات وانتهى أمره».

همس: «مخطئ.. هو لم يمت».

تنهد الدون تنهيدة طويلة من أنفه، ثم سأل: «ما الذي ستفعله الآن؟»

«سأرحل إلى مكان آخر».

قال بوجه صارم: «أوّلًا، بالكاد يمكنك التحرك لذا لن أسمح لك بالخروج بعد، وثانيًا، أنتَ منّا الآن وابني سواءً أردت ذلك أم لا.. لن أتخلى عنك».

«لا تتوقع منّي شيئًا كابن، لن نحظى بعلاقة الأب وابنه كما تأمل، فأنا لست كما تحسبني».

«ليس بالضرورة أن يحدث كل شيءٍ الآن وبسرعة، كما أنني لا أتوقع أن لعب كرة القدم أو التقاطك أسفل الزحلوقة سيناسب صورتك أو يعوِّض حنيني لك ولأمّك».

قلب مارسيل ناظريه بانزعاج، ثم تابع الدون بنبرة هادئة: «هذه ثلاثون عامًا.. لا تدرك كم تعذبتُ وتألمت حتى مضيتُ قدمًا وكبست على جرحي!

أنا أيضًا لا أعلم كيف أتقرَّب منك وأنت بهذا العمر وهذه الهوية، ولا أتوقع أن تناديني أبي في أي وقتٍ قريب أو حتى أبدًا! لكنني أرغب بمعرفتك، وأرغب أن تعرفني أيضًا.. إنها رحلة طويلة وأول خطوة فيها هي أن نعترف بحقيقة أننا أب وابنه».

نهض فيرناندو ليتركه يرتاح قليلًا، وحينها قال مارسيل: «لا أرغب بالبقاء هنا».

رمقه بحدّة قائلًا: «لست في وضع يسمح لك بالتفاوض، ستبقى هنا حتى تتماثل للشفاء ثمّ يمكنك أن تنتقل لإحدى الأراضي الخاصة بنا».

«لا أريد أن أستقرّ هنا».

«أين تفكر بالاستقرار إذًا؟ هل لديك منزل ثابت؟»

«كان لدي واحد في أرض فرانسيسكو».

أومأ: «البيت الزجاجي الذي تفجر.. حسنًا سأعيد ترميمه لك»

«سأهتمّ بالأمر بنفسي»

«اعتبرها أوّل هدية ترحيب منّي.. والآن سأذهب، فلدي موعد لاقتناء يدٍ صناعية وستكون ممتازة وقوية لصفعك عندما تتحدث معي بهذه النبرة مجددًا. أنا لست والدك وحسب بل الدّون فيرناندو مينديز. مفهوم؟»

مضى الدون مغادرًا بينما قلّب مارسيل ناظريه مجددًا وهمس: «أنت من أغاظني أولًا».

«سمعتك». أتاه صوته عند الباب.

شتم بهمس بعد رحيله، ثمّ أغمض عينيه للحظات يفكّر بها بروبي، ولم يعلم ما إن كان قد غفا في تلك اللحظات أم لا لكنّه فتح عينيه مجددًا عندما سمع صوت همساتٍ وتحريك ليرى فتًى وفتاة، صغيرين في العمر، يقفان على مقربةٍ من فراشه ويتأمّلانه.

تراجعا خطوة للخلف عندما نظر إليهما، لا يزالان يدرسانه ويتساءلان عنه، ثمّ قال الصّبي: «لقد سمعنا من الخدم أنّك استيقظت لذا أحضرنا الشوكولا والحلوى فأنت ضيفنا وكنت تتألّم».

أضافت الفتاة بخجل: «وأنا أحضرت المانجو وزهرة من حديقتنا».

وضعا ما أحضراه على فراش مارسيل الذي حملقَ بها قليلًا قبل أن ينظر إليهما مجددًا ويطول الصمت.

«مَن ضربك هكذا؟»

وكزته الفتاة الصغيرة، وقالت بصوتٍ منخفض: «ريكاردو! قد يكون محرجًا ليجيب عن ذلك».

«آه محقّة».

«لنعرّف عن أنفسنا أوّلًا كما تعلمنا».

اعتدل الفتى في وقفته قائلًا: «مرحبًا، أنا ريكاردو كورتيز وهذه توءمي ڤاليريا».

زفر مارسيل بتعب ثمّ قال: «أعرف».

ريكاردو: «حقًّا؟ إذًا من أنت أيّها الغريب؟»

«غريب».

ضحك ريكاردو ضحكة مكتومة مثل شقيقته التي حاولت ألا تضحك.

«هل سمعتِ؟ لقد قال إنّ اسمه غريب!»

وكزته مجددًا ثمّ نظرت لمارسيل وسألت: «هل أنتَ غريب حقًّا؟»

«أجل، ولا يجدر بكما التحدث إلى الغرباء».

ڤاليريا: «ولكنك نمت في منزلنا لأسبوع وأبي يعتني بك ويزورك كلّ يوم».

سمعا صوت رئيسة الخدم تناديهما فهتف ريكاردو لأخته أن تختبئ تحت الفراش بينما هو في الخزانة، وبعد لحظات أتت الرئيسة وطرقت الباب المفتوح قبل أن تدفعه وتنظر لمارسيل بتحفّظ.

«عذرًا على الإزعاج يا سيدي، ولكن هل...»

وقعت عيناها الجاحظتان على الحلوى والزهرة، ثمّ أومأت لمارسيل قبل أن تقول بنبرة صارمة: «اخرجا من مخبئيكما قبل أن أُعلم والديكما».

لم يفعلا شيئًا فاتجهت للخزانة وفتحتها أولًا ليهتف ريكاردو وهو يخرج: «هل وشيت بمكاني يا هذا!؟»

«ڤاليريا، اخرجي من تحت الفراش».

زحفت ڤاليريا ونهضت تنظر لمارسيل بحزن وصدمة: «وشيت بمكاني أيضًا!؟»

«لم يشِ أحد بكما! أنتَ يا ريكاردو تحبّ الاختباء في الخزائن، واستطعت رؤيتك يا ڤاليريا على الفور لأنّ السرير طبي ومرتفع عن الأرض.. والآن هيَّا اخرجا من الغرفة ولا تزعجا الضيف».

أصدرا صوت إدراكٍ في الوقت ذاته قبل أن يبتسما ويعتذرا لمارسيل، الذي لم يقل شيئًا وانتظرهم أن يغادروا جميعًا بعد أن وبختهما رئيسة الخدم

التفت ريكاردو قبل خروجه وقال: «سنزورك مجددًا إن لم نُعَاقب».

ابتسمت ڤاليريا وأضافت: «آمل أن تتحسن بسرعة».

تنهد تنهيدة طويلة بعد أن أغلقوا الباب ورحلوا ثمّ همس: «يا للإزعاج...»

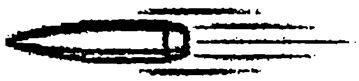

وبعد مرور فترةٍ أصبح فيها مارسيل قادرًا على المشي، خرج وقصد الجزيرة الخاصة حيث نيكولو الذي ابتسم له باشتياق وراحة عندما رآه بخير بعد طول غياب.

أشار للممرضة بالرحيل لتومئ وتنظر إلى نيكولو الذي أومأ بعينيه يشكرها على خدمتها له طوال هذه السنوات، ثمّ اقترب منه ونزع قناع

الأكسجين قبل أن يجلس بقربه، ويحدق به بملامحه المعتادة بينما هو ما يزال مبتسمًا.

«لماذا تبتسم مثل الغبي؟»

«تبدو بشعًا.. هل كل هذا تعذيب؟»

«أجل.. قصة طويلة لا تهتمّ لها».

أومأ نيكولو متفهمًا، ثمّ همس: «جاريد..؟»

صمت مارسيل، ولم يشأ أن يخبره بالحقيقة التي لا يود بنفسه أن يعترف بها.

«لا وجود له في هذا العالم بعد الآن».

زفر نيكولو نفسًا طويلًا وهو مرتاح، وكأنّ جبلًا قد انزاح عن صدره بعد عناء طويل!

دمعت عيناه وهو يقول: «حمدًا لله.. لقد أرحتني.. أنا سعيد حقًّا، يمكنني الذهاب إلى آليس وأنا مرتاح.. البال».

«ما تزال تظن أنها تنتظرك؟»

أجاب بابتسامة مرهقة: «إنها كذلك.. وعلى الأرجح ستوبخني.. لكنها ستتفهم.. سأخبرها.. أنه كان عليّ مساعدة صديقي».

«هكذا إذًا».

«أخبرني.. عن.. أحوالك، ماذا تخطّط أن تفعل الآن.. بعد أن انتهى كلّ شيء؟»

تنهد مارسيل: «خلقت الفوضى.. وتغلغلت فوضى أخرى لحياتي».

«و...؟»

قال وهو يتحاشى النظر لعينيه لشعوره بالحرج: «قابلت امرأة...»

زفر ضحكة خفيفة: «حقًّا؟ و... كيف هي؟»

«بليدة، ميلودرامية وتحب الطعام كثيرًا، مضحكة وبريئة و... الكثير من الصفات الأخرى. تقول إنّها تحبني ولا تراني كأداة قتل، وتطمح لتغييري وجعلي أعتنق أفكارًا مختلفة.. تتحدى كل ما بناه جاريد بي وكأنّه لا شيء!»

ابتسم نيكولو: «وكيف.. تشعر.. حيالها؟»

هزّ كتفه: «لا أعلم. تنتابني مشاعر كثيرة وغريبة ولا أعلم ما هي لأنها ليست ما نشأتُ عليه.. ولكن تنتابني رغبات! أرغب برؤيتها دائمًا، سماع صوتها، التحدث والضحك عليها ومعها.

أنا أشعر أنني مختلف عندما أكون برفقتها، وأشعر بسَكِينة غريبة تجعلني أرغب بحمايتها وإبقائها معي للأبد».

«تبدو امرأة مثيرة للاهتمام».

«إنها كذلك.. ومجنونة لوقوعها في حب شخصٍ مثلي».

«اذهب إليها إذًا.. تمرّد يا 005».

«لا أعلم ما إن كانت لا تزال ترغب بي، ولا أعلم كيف سيكون الأمر لو كانت معي وكيف سأتصرف أو أتغير كما تريد».

«أحضِر لها الزهور والشوكولا، فالأمر ينجح مع النساء دائمًا».

«سوف تحبّ ذلك لا محالة».

ضحك نيكولو برقّة بينما ضحكَ مارسيل ضحكةً خافتة مشيحًا بنظره للبحر، وظلّا صامتين حتّى تنهد نيكولو تنهيدة طويلة...:

«أنا مستعد»

أومأ مارسيل بفهم قبل أن يخرج علبة صغيرة من سترته بها إبرة كان

قد جهزها مسبقًا.. ثم حقنها في المغذي وعاود الجلوس مجددًا بينما ابتسم نيكولو بارتياح، مغمضًا عينيه، ينتظر موته.

«شكرًا.. وآسف لكوني.. آخر هدف».

«العفو».

«سوف.. أشتاق إليك يا صديقي.. كن سعيدًا، وابدأ من جديد مع هذه المرأة.. لن يكون الأمر سهلًا لكنّه ليس مستحيلًا».

سرح بالإطلالة مجددًا وهو يتذكّر روبي، ثمّ سأل: «نيكولو...؟»

«همم...؟»

«كيف هو الحب؟ كيف أعرفه؟»

التفت مارسيل عندما طال الصمت ليرى نيكولو يرقد بسلام أخيرًا، ثمّ تنهد ونهض يتأمّل وجهه المرتاح لآخر مرة قبل أن يغطّيه.

«ارقد بسلام، وشكرًا لك.. يا صديق».

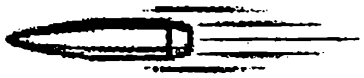

وبعد مضي عدّة أشهر.. تغيرت الكثير من الأمور حول العالم ومضى الكثيرون في هذه الحياة، إلّا روبي التي ما زالت عالقة في مكان واحد.

تجلس على العشب الأخضر، لا تفعل شيئًا سوى مراقبة الأبقار وكلب المزرعة الذي يحوم حول المكان وحولها، يتوق لتلعب معه وتعطيه بعض الاهتمام، ولم تستطع أن تتفاعل معه سوى قبل فترة بسيطة.

كانت قد قرّرت مساعدة العائلة في المزرعة، تحاول أن تشغل نفسها بالعمل علّها تنسى التفكير، ولكنّها لم تستطع أبدًا! وكانت ما تزال مكتئبة ومهمومة، تمشي في الظلام باحثةً عن بصيص النور، بصيص الأمل!

«روبي.. !»

التفتت للخلف عندما نادتها الابنة نورا وأعلمتها بوصول طردٍ بريدي لها، لتومئ فقط قبل أن تذهب لإطعام الدجاج أولًا، ثمّ توجّهت للمنزل حيث كانت نورا تشرب العصير وتشير للطّرد

«لقد أرسله لكِ».

ابتسمت مجاملةً فقط قبل أن تتنهّد وتفتح الطّرد الذي أرسله نيل لتجد ظرفًا أبيض اللون دون عنوان فعقدت حاجبيها وفتحته لترى تذكرة طيران خاصة إلى مطار كورنوال بإنجلترا، مع رسالة أخرى.

«ما هي؟ أوه هناك مال أيضًا!»

روبي وهي تنظر للتذكرة بشك: «إنها تذكرة طيران إلى كورنوال، ولكن...»

«ماذا في الرسالة؟»

هزت رأسها وفتحت الرسالة التي كتب نيل فيها جملة واحدة فقط:

«أنتِ حرّة لتختاري أي جانبٍ تريدينه».

حملقت بالرسالة وبالتذكرة مجددًا، ثم قالت وهي تحاول الاستيعاب: «جانب؟ كورنوال.. ؟ كورنوال! هذا قريب من ساحل بن-ويث!»

عقدت نورا حاجبيها: «هاه؟»

تمتمت بصدمة وعينين دامعتين: «يا إلهي يا إلهي!»

«ماذا!؟ ما الأمر؟»

«نورا! يجب عليَّ أن أذهب الآن وفورًا، شكرًا لكِ وبلغي والدتك وعائلتك شكري أيضًا».

أسرعت روبي بحزم حقيبتها واتجهت للمطار على الفور وهي مضطربة ومنفعلة عاطفيًّا! استقلت الطائرة الخاصة التي أقلعت بها إلى

إنجلترا وظلّت طوال الرحلة تدعو من كل قلبها أن يكون ما تتخيله صحيحًا!

وهبطت الطائرة بعد ساعاتٍ طويلة قضتها وهي تتخبط بين مشاعر وآمال كثيرة حتى كاد جسدها يسقط خائر القوى، خرجت من المطار مندفعةً إلى أول سيارة أجرة لتأخذها إلى السّاحل، دفعت كل المال للسائق حتى يقبل أخذها في رحلة تستغرق ساعة تقريبًا.

جلست واضعةً يدها على قلبها الذي يخفق بسرعة كلما اقتربا، كلّما اقتربت من الأمل! حتى وصلت أخيرًا للساحل وترجلت من السيارة تركض بسرعة على طول الشارع، أدركت خلال ركضها أنها نسيت حقيبة ملابسها في المطار لكنّها لم تتوقف واستمرت وهي تركّز بالشاطئ المزدحم بالناس حتى لم تعد تراهم.

توقفت تلتقط أنفاسها السريعة، ونظرت إلى البيت الزجاجي الذي لم يكن محطمًا بل قائمًا مكانه!

«مستحيل...!»

ركضت باتجاه المنزل وهي تبكي، تشعر بالخوف والترقّب لما هو قادم، فهل سيكون كما تتخيل؟ هل سيكون من تريده هناك فعلًا؟

تباطأت خطواتها شيئًا فشيئًا عندما وصلت أخيرًا، وحدّقت بالسيارة السوداء وبالمنزل بوجه مصدوم.

اقتربت أكثر ثمّ لمحت تجمهر طيور النورس على الشاطئ، فمشت إليهم وهي تحبس أنفاسها حتى رأت ظهر رجلٍ يقوم بإطعامها.

تأملته قليلًا قبل أن تبتسم وهي تذرف دموع الفرح وتنادي باسمه...

تجمّد مارسيل مكانه، يحاول أن يستوعب ما سمعه لتوّه.. هل كان حقيقة أم مجرد خيال يختلقه رأسه مجددًا!؟

التفت بهدوء واتسعت عيناه في دهشة تليق به وبطباعه عندما رآها تبتسم له وهي تبكي، لم يستطع أن يصدّق حتى أسرعت إليه وعانقته بقوة لتجعله يشعر بها! لتجعله يصدّق!

«حقيقة.. إنها روبي حقًّا»~

تحركت ذراعاه ولمستا ظهرها أولًا ثم عقدهما حولها بإحكام وتنفّس وكأنّه يملأ صدره بها ويعوض اشتياق الشهور المريرة التي قضاها وحده بدونها...

ابتعدت روبي ولمست وجنتيه، تتأمل وجهه وعينيه بينما هو يتأمل عينيها الزرقاوين.

قال وهو مشوّش ومبعثر الكلمات: «ما الذي تفعلينه هنا؟»

أجابت بابتسامة حزينة: «أنا هنا لأجلك بالطبع».

«لكن كيف ولماذا...؟»

«لم تقل وداعًا! وعشت في عذاب طيلة الأشهر الماضية وأنا أنتظر أي خبر عنك.. لم أستطع أن أتقبل فكرة موتك! شعرتُ أنّي سأموت حقًّا لو قبلت بذلك وركضت إلى هنا فور رؤيتي لبصيصِ أملٍ أخبرني أنّك حيّ!»

«وهل.. سترحلين الآن لو قلت وداعًا؟»

ضحكت ضحكة مكتومة ليدرك مارسيل الأمر ويشعر بالحرج الذي لم يبدِه تمامًا على وجهه.

«لا أنوي ذلك، كما أنني وعدتك بالبقاء معك».

«هل ترغبين بالبقاء معي حقًّا؟»

«أجل!» عقدت حاجبيها باستياء لطيف: «إلّا لو لم تكن ترغب بوجودي».

«ليس الأمر كذلك».

«ممتاز! أنت ترغب ببقائي إذًا، لقد حُسِم الأمر».

قال بتهكّم وعلى شفتيه ابتسامة صغيرة: «لم أقل ذلك يا روبي.. ركّزي».

تباهت بابتسامة مغرورة: «أنا مركّزة! وأنا أرى أنّك ترغب واشتقت إليَّ أيضًا ولكنك لا تستطيع الاعتراف لي بعد! سأغير ذلك وأجعلك تقع في حبّي أيضًا».

ردَّ بنبرة هادئة وبصوتٍ بدا عليه الحزن: «أنا لن أستطيع أن أتغيّر بسهولة، وقد لا أستطيع أبدًا».

«بل تستطيع! أخبرتك أنّي أومن بك، وأنّي سأكون معك دائمًا.. أنت لست وحدك في هذه الرحلة يا مارسيل. قدمي على قدمك!» أردفت بابتسامتها الحلوة: «لا أستطيع الرحيل ولن أرحل بعد ما وجدتك أخيرًا.. أنت مهمّتي الآن!»

ضحكَ ضحكة خافتة رغمًا عنه: «أنا هدفك؟»

رفعت ذقنها: «أجل. معك العميلة روبي إكس إكس مربع مثلث».

كتم ضحكته مشيحًا بنظره عنها، ثمّ قال بعد أن ابتلع تلك الضحكة: «هذا أسوأ اسم حركّي سمعته».

«سنبتكر واحدًا آخر معًا إذًا وبما أنني سأمكث هنا طوال الوقت، فلا أملك مكانًا كما ترى وبيتك يبدو مناسبًا وجديدًا!»

«بدأ الاستغلال».

«ألا يعجبك ذلك؟ حسنًا، إن لم تردني في بيتك فسوف أرحل الآن.. وداعًا!»

التفتت بتكبر ومشت بخطواتٍ بطيئة وهي تسترق نظراتٍ للخلف، وكان مارسيل لا يزال واقفًا في مكانه

«أنا ذاهبة!»

«حسنًا، وداعًا...»

قالت وهي تتخذ خطوة أخرى: «ألن تلحق بي؟»

«لا»

التفتت وتذمرت في وجهه: «خطأ! من المفترض أن تلحق بي وتوقفني يا مارسيل!

أنا حقًّا لا أمتلك مكانًا لأمكث فيه، ونسيت حقيبة ملابسي في المطار أيضًا. لا أملك سوى حقيبة يدي هذه وليس بها سوى جوازي وحلوى احتقان الحلق!»

عقد ذراعيه قائلًا: «يمكنك تدبر أمرك بلا شك».

روبي بتعجب: «هيه! هل أنت جاد؟ قطعت مسافة كبيرة من أجلك كالمجنونة! أنا حقًّا ليس لدي مكان ولا مال ولا ملابس!».

«أعلم ذلك.. لقد كنت أتلاعب بكِ مجددًا ولكن على مستوًى آخر أيتها العميلة».

رمشت ببلادة، ثمّ ابتسم مارسيل برقة على وجهها المحرج اللطيف والغاضب، وتعجب من عدد التعابير التي يمكن أن ترسمها على وجهها في وقت واحد.. مثيرة للاهتمام حقًّا.

«هل أنتِ جائعة؟»

هزت رأسها على الفور: «نعم وبشدة!»

«لنذهب لتناول الطعام إذًا».

قالت بابتسامة بليدة وهي تعقد ذراعها بذراعه: «**حسنًا طالما أنّك** مصرّ!»

«لست مُصـ...»

قاطعته: «لا مزيد من التلاعب! أنا جائعة حقًّا ويمكننا فعل هذا لاحقًا.. هيَّا بنا هيَّا!»

مشيا معًا على الشاطئ، يتّجهان للسيارة ومشاعر جديدة تحيط بهما، مشاعر معروفة وأخرى مجهولة على وشكِ أن تُكتَشف، وقد تسبب الكثير في المستقبل...

«هذه هي.. بداية رحلتنا الجديدة معًا»~ روبي/ مارسيل

((إلى السيد الموقّر جوناثان والش،

يؤسفني أن أنقل إليكَ هذه الأخبار، وأتقدّم إليكَ بخالص الاعتذار..

المهمّة التي وكّلنا بها عميلنا السّابق 005 قد فشلت فشلًا ذريعًا ولا يزال الهدف حيًّا، وتعيش باسم روبي سميث

يسعدني أن ألتقي بك بشكلٍ خاصّ لمناقشة التفاصيل والإجابة على أسئلتك في أيّ وقت

مع تحياتي، تشرشل بيلز)).

يُقال إن كلّ القصص الجيدة تبدأ من المكسيك،
وتتساءل روبي كيف ستستمرّ قصتها وكيف ستنجو
وهي عالقة بين 005 وإحدى أخطر العائلات في العالم

شهد قربان
shahdqurban

9 786038 455593
adabarabic7
services_book
servicesbook1
www.adab-book.com
تصميم الغلاف @BOOK.COVERS